بسم الله الرحمن الرحيم

الرد الأثري المفيد
على البيجوري في جوهرة التوحيد

ملاحظات على البيجوري في شرح جوهرة التوحيد

تأليف
أبو قتادة الفلسطيني
عمر بن محمود أبو عمر

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله،}يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون}، {يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وبث منهما رجالاً كثيراً ونساءً واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيباً}، {يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً، يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً}.

أما بعد:

فإن خير العلوم وأشرفها: علم التوحيد، وأفضل مراتب الجهاد: الذب عن جناب التوحيد وتصفيته من الشوائب والبدع مما يدخل عليه غفلة من أهل الحق.

وفي غفلةٍ تولى قيادة هذه الأمة فئات من المفكرين ساروا بالأمة إلى مواطن الهاوية وذلك لبعدهم عن النبع الإسلامي الصافي وحملهم ألوية الزخارف الباطلة والعقائد المتصدعة الهاوية فكان على أهل الإسلام وخاصة أهل السنة والجماعة بيان الحق وسل سيف الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ولما كان أمر هذه الأمة لا يعود إلى سابق عهده من عزة وانتصار إلا بتصفية عقائدهم مما علق بها من شوائب الدخن الباطل كان لزاماً فضح موارد ومظان هذا الدخن.

وبحمد الله عز وجل وطمعاً في تحصيل ما حصله السلف من فضائل غزيرة فإني جعلت همي في باكورة انتاجي: تجلية الستار عن مسائل عقدية نسبت إلى الإسلام زوراً وبهتاناً وعن كتب غررت بالمسلمين طويلاً.

فكان هذا النتاج وهو نقد لشرح جوهرة التوحيد للبيجوري المسمى تحفة المريد، وسميت كتابي - الرد الأثري المفيد [1] على البيجوري في شرح جوهرة التوحيد - وقد تحريت فيه عقيدة أهل السنة والجماعة ومناهج وعلومهم واستدلالاتهم ولا أزعم الكمال ولا القرب منه والتقصير مني محقق، وأسأل الله العظيم المغفرة والهداية والقبول.

وكتب
أبو قتادة
عمان / الأردن
26 / شوال / 1407 هـ [2]

الأشعرية وكلام الله تعالى

[1] هذه الطبعة الثانية عام 1412 هـ تهذيب يسير للأصل بعنوان: ملاحظات على البيجوري في شرح جوهرة التوحيد.
[2] وأخذت هذه الملاحظات من الأصل وطبعت 1412 هـ

الــبيجوري أســتاذ الأشــاعرة في عصــرنا ومعلمهم عقائد السلف كما يبين في شرحه لجـوهرة التوحيد يفيض ويسهب في شرح عقيدته في كلام الله تعالى، وهو عـودة منه إلى طامة كبرى له تعالى:

مـرت على المسـلمين في الأزمـان السـالفة الـتي دخلت فيها علينا عقائد اليونان ونفاياتهم وعقائد الهندوس وضلالاتهم باسم الإسلام وعقيدة المسلمين.

فما هي عقيــدة الــبيجوري ومن قبله اللقــاني ومن شايعهم من الأشاعرة في كلام الله تعالى:

يقول اللقاني ناظم الجوهرة:

ونزه القرآن أي كلامه عن الحدوث واحذر انتقامه

فكل نص للحدوث دلاّ إحمل عن اللفظ الذي قد دلاّ "1"

ويشرح البيجوري هذا النظم بقولـه: (أي واعتقد أيها المكلف تنزه القرآن - بمعنى كلامه تعـالى- عن الحـدوث، خلافـاً للمعتزلة القـائلين بحـدوث الكلام، زعمـاً منهم أن من لوازمه الحـــروف والأصـــوات، وذلك مســـتحيل عليه تعـالى، فكلام الله تعـالى عنـدهم مخلـوق، لأن الله خلقه في بعض الأجرام، ومذهب أهل السنة أن القـرآن بمعـنى الكلام النفسي ليس بمخلـوق، وأما القـرآن بمعـنى اللفظ الـــذي نقـــرؤه إلا في مقـــام التعليم، لأنه ربما أوهم أن القرآن بمعنى كلامه تعالى مخلـوق، ولـذلك امتنعت الأئمة من القول بخلق القرآن) "2".

ثم قال في شرحه:

فكل نص للحدوث دلاّ إحمل على اللفظ الذي قد دلاّ

(أي إذا تحققت ما ســـبق - من التفريق بين اللفظ القــرآني والكلام النفسي - فكل نص... إلخ؛ فالفــاء فــاء الفصـيحة، وهـذا من بـاب الحقيقة جـواب عما تمسك به المعتزلة من النصــوص الدالة على الحــدوث مثــل: {إنا

"1" شرح الجوهرة 93-95
"2" ص93-94

أنزلناه في ليلة القـدر}.. {إنا نحن نزلنا الـذكر} والمـراد من النص: الظاهر من الكتـاب والسـنة؛ وقوله "للحـدوث دلا" أي دل على حدوث القرآن) "3".

ثم قال: (والحاصل أن كل ظاهر من الكتاب والسنّة دل على حدوث القرآن، فهو محمول على اللفظ المقروء لا على الكلام النفســي، لكن يمتنع أن يُقــال: القــرآن مخلوق إلا في مقام التعليم) "4".

هذه الأقوال تبين لنا مراد الـبيجوري في عقيدته في كلام الله تعــالى، وهو التفريق بين المعــنى واللفظ وأن المعـنى واللفظ وأن المعـنى هو كلام الله تعـالى النفسي القديم، وأنه ليس بمخلوق واللفظ القـرآني ليس هو كلام الله تعـالى بل هو مخلـوق وإن كـان يصح إطلاق كلام الله عليه ولكن يكـون كلام الله هنا مخلـوق ولا يقـال ذلك إلا في مقام التعليم هذا هو الأمر المراد من كلامه.

أما المــراد الثــاني: فهو أن كلام الله تعــالى نفسي قديم ليس بحرف ولا صوت. وصرح بذلك في موطن آخر حين قال: فقد سـمع سـيدنا موسى كلام الله القـديم وهو ليس بحرف ولا صوت "5".

ومن عقيدته كـذلك في كلام الله تعـالى، قوله بــأن الله بم يزل متكلماً أزلاً وأبداً "6".

عقيدة السلف في كلام الله تعالى:

أ) هل التفريق بين المعـنى واللفظ معلـوم من كلام العــرب وهل الكلام يطلق على اللفظ دون المعــنى أو العكس؟

الكلام عند النحــــاة: هو اللفظ المـــــركب المفيد بالوضع.

هــذا التعريف لمعــنى الكلام يــدل بعبارته على أن الكلام هو ما اجتمع فيه أمران اللفظ والإفادة "7".

"3" ص95
"4" شرح الجوهرة 73
"5" شرح الجوهرة 74
"6" أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك.
"7" شرح الجوهرة 74

فالكلام هو الملفوظ المنطوق وفيه دلالة على معنى وبهـذا يعلم أن لغة العـرب لا تفـرق بين اللفظ والمعـنى حين إطلاق معنى الكلام.

فقولنا كلام الله تعـالى: لابد فيه من أمـرين في لغة العـــرب اللفظ والإفـــادة (المعـــنى). ولا يصح فصل أحد الأمرين عن الآخر إلا لسبب لغوي أو شـرعي مقبـول وإلا بقي الأمر على أصله.

وهذا المذهب الـذي ذكرنـاه من أن كلام الله تعـالى هو ما حـوى اللفظ والمعـنى، فاللفظ القـرآني والمعـنى المـــراد من اللفظ هو كلام الله تعـــالى على الحقيقة هو مذهب السـلف بلا خلاف وما دخل الخلاف إلا عنـدما دخل الدخن من عقول الفلاسفة ومنطق اليونان.

ومذهب الأشعرية هو مذهب المعتزلة ولكنه متطـور بغرابة غير معقولة ولا مفهومة، وهذا ديدن الأشـاعرة في تلفيق مذهبهم وتوفيقهم بين المتناقضات بما لا يتفق.

فمؤدى مذهب الأشاعرة أن القرآن الـذي بين أيـدينا مخلـــــــوق، وأنه دال على كلام الله وليس هو كلام الله تعالى، لأن كلام الله معنى، وليس لفظاً ومعنى، ونفسـيّ: ليس بمقروء على الألسن ولا محفوظ في الصـدور وليس بمكتوب على الأوراق؛ قديم ومعـنى قـولهم قـديم أي أن الله عز وجل لم يزل متكلماً أزلاً وأبداً "[8].

بعد هذا الذي بيناه هل في كلام السـلف ما يوافقه - وهو أن الكلام لفظ ومعنى حرف وصوت - ؟

قـــال ابن تيمية رحمه الله تعـــالى: (وقد نصَّ أئمة الإسـلام أحمد ومن قبله من الأئمة أن الله تكلم بـالقرآن بحروفه ومعانيه بصـوت نفسه كما ثبت بالكتـاب والسـنة وإجماع السـلف، وصـوت العبد ليس هو صـوت الـرب ولا مثل صوته فـإن الله ليس كمثله شـيء لا في ذاته ولا في صـــفاته ولا في أفعاله وقد نص أئمة الإســلام أحمد ومن قبله من الأئمة على ما نطق به الكتـاب والسـنة بـأن الله ينـادي بصـوت وأن القـرآن كلامه تكلم به بحـرف وصـوت ليس منه شيء كلاماً لغيره لا لجبريل ولا غيره) "[9].

---

[8] الفتاوى 2/584
[9] مختصر العلو 284-285

قال أبو المعالي: (كنت يوماً عند الشيخ أبي البيان رحمه الله تعالى فجاءه ابن تميم الذي يدعى الشيخ الأمين، فقال له الشيخ بعد كلام جرى بينهما: ويحك، الحنابلة إذا قيل لهم: ما الدليل على أن القرآن بحرف وصوت؟ قالوا: قال الله تعالى كذا، وقال رسوله كذا، وسرد الشيخ الآيات والأخبار: وأنتم إذا قيل لكم: ما الدليل على أن القرآن معنى قائمه في النفس؟ قلتم: قال الأخطل "إن الكلام لفي الفؤاد" إيشن هذا الأخطل؟!! نصراني خبيث بنيتم مذهبكم على بيت شعر من قوله وتركتم الكتاب والسنة) "10".

وقال أبو أحمد الأسفرائيني: (مذهبي ومذهب الشافعي رحمه الله تعالى وجميع علماء الأمصار أن القرآن كلام الله ليس بمخلوق، ومن قال مخلوق فهو كافر، وأن جبرائيل عليه السلام سمعه من الله عز وجل وحمله إلى محمد صلى الله عليه وسلم، وسمعه النبي صلى الله عليه وسلم من جبرائيل عليه السلام وسمعه الصحابة رضي الله عنهم من محمد صلى الله عليه وسلم، وأن كل حرف منه كالباء والتاء كلام الله عز وجل ليس بمخلوق) "11".

فالقرآن كلام الله لفظاً ومعنى منزّل غير مخلوق وهو المتلو المسموع والمكتوب في المصاحف.

وتفصيل ذلك على الآتي:

الكلام صفة كمال لأن من يتكلم أكمل ممن لا يتكلم ومن يتكلم بمشيئة وقدرة أكمل ممن يكون الكلام لا إرادياً ليس لهو عليه قدرة ولا له فيه مشيئة ولذلك فالله عز وجل متكلم حقيقة بكلام هو صفة من صفاته العليا حقيقة ويتكلم متى شاء بما شاء ولذلك قال تعالى: {ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه}.

والآية تبين وقت كلام الله سبحانه وتعالى لنبيه موسى عليه السلام وهو إنما كان بعد ما جاء موسى لميقات ربه وليس كما قال البيجوري وأشياعه وسلفه، أن الله عز وجل لم يزل متكلماً أزلاً وأبداً ومعنى كلامه أن الله عز وجل لم يزل ولا يزال أزلاً وأبداً يقول يا موسى يا موسى وكلام الله عز وجل يعلم منه

"10" اجتماع الجيوش الإسلامية 116
"11" جواب أهل العلم والإيمان 79-80

أنه حين جاء موسى كلمه فهو سبحانه وتعالى لم يزل متكلماً إذا شاء ومشيئته وقعت حين جاء موسى.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (وأتباع السلف يقولون إن كلام الله قديم إي لم يزل متكلماً إذا شاء، لا يقولون إن نفس الكلمة المعينة قديمة، كندائه لموسى ونحو ذلك) [12].

ومثال ذلك الذي ذكرنا في كتاب الله كثير ومنه قول الله تعالى: {فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوءاتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة وناداهم ربهما ألم أنهكم عن تلكما الشجرة وأقل لكما إن الشيطان لكما عدو مبين}. وكقوله تعالى: {وناديناه من جانب الطور الأيمن وقربناه نجياً}.

وقد تكلم الله بلفظه ومعناه بصوت نفسه قال تعالى: {وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام لله}. فبين سبحانه وتعالى أن المسموع هو كلام الله تعالى حقيقة وقد سمعه رسول الله صلى الله عليه وسلم من جبريل عليه السلام الذي سمعه من الله تعالى ونزل به إليه وأسمعه رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه وهو الذي أمره الله عز وجل بإسماعه للمشرك المستجير.

وقولهم أن القرآن دال على كلام الله عز وجل وليس هو كلام الله عز وجل؛ بل ليس فيه إلا المعنى القائم بذات الله واللفظ مخلوق فهذا يرده قوله تعالى: {وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله} ولم يقل الله عز وجل: (حتى يسمع ما هو عبارة عن كلام الله)، والأصل في الإطلاق الحقيقة كما أشار البيجوري نفسه ص74.

قال شارح العقيدة الطحاوية: (وحقيقة كلام الله تعالى الخارجية: هي ما يسمع منه أو من المبلغ عنه فإذا سمعه السامع علمه وحفظه، فكلام الله تعالى مسموع له معلوم محفوظ، فإذا قاله السامع فهو مقروء له متلو فإن كتبه فهو مكتوب له مرسوم. وهو حقيقة في هذه الوجوه كلها لا يصح نفيه، والمجاز يصح نفيه، فلا يجوز أن يقال: ليس في المصحف كلام الله، ولا: ما قرأ القارئ كلام الله تعالى وقد قال تعالى: {وإن أحد من المشركين

---

[12] الطحاوية 194

استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله} وهو لا يسمع كلام الله من الله وإنما يسمعه من مبلّغه عن اللـه. والآية تـدل على فساد قـول من قـال: إن المسـموع عبـارة عن كلام الله وليس هو كلام الله فإنه تعـالى قـال: {حـتى يسـمع كلام اللـه} ولم يقل حـتى يسـمع ما هو عبـارة عن كلام اللـــه، أو حكاية عن كلام اللـــه، وليس فيها كلام الله فقد خالف الكتاب والسنة وسلف الأمة وكفى بـذلك ضـلالاً) [13].

والبيجوري قال هذا الضـلال عنـدما قـال: (واعلم أن كلام الله يطلق على الكلام النفسي القـــديم، بمعـــنى أنه صفة قائمة بذاته تعـالى، وعلى الكلام اللفظي بمعـنى أنه خلقـــه، وليس لأحد في أصل تركيبه كســـب، وعلى هـــذا المعنى يحمل قول عائشـة: ما بين دفـتي المصـحف كلام الله تعالى. وإطلاقه عليهما قيل بالاشـتراك، وقيل حقيقي في النفسي، مجاز في اللفظي) [14].

أما بالنسبة للأمر الآخر الذي كــان بينه في كلامه أن الله تعـالى لم يتكلم بحـرف وصـوت ودليله على ذلك لم يفصح عنه وإن كـــان معلومـــاً أنه نفى ذلك هو وســـلفه وأشياعه مخافة التشبيه.

ومذهب السـلف في ذلك هو ما ذكـره سـابقاً شـيخ الإسلام ابن تيمية: (وقد نصَّ أئمة الإسلام أحمد ومن قبله من الأئمة أن الله تكلم بـــالقرآن بحروفه ومعانيه بصـــوت نفسه كما ثبت بالكتاب والسنة وإجمـاع السـلف، وصـوت العبد ليس هو صوت الـرب ولا مثل صـوته فـإن الله ليس كمثله شـيء لا في ذاته ولا في صـفاته ولا في أفعاله وقد نص أئمة الإسلام أحمد ومن قبله من الأئمة على ما نطق به الكتاب والسنة بأن الله ينادي بصوت وأن القرآن كلامه تكلم به بحـرف وصـوت ليس منه شـيء كلامـاً لغـيره لا لجبريل ولا غيره) [15].

<u>والأدلة على ذلك كثـــيرة من الســـنن النبوية الشريفة فمنها:</u>

---

[13] الجوهرة 72

[14] مجموع الفتاوى 2/584

[15] رواه الترمذي عن ابن مسـعود دون قولـه ولام حـرف،وقـال: هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه 3075/4

1) قوله صلى الله عليه وسلم: ((من قرأ حرفاً من كتاب الله تعالى فله به حسنة، والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول لكم ألم حرف؛ ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف)).

فبين رسول الله صلى الله عليه وسلم أن كتاب الله حروف، وكتاب الله هو كلامه وقد سمى الصحابة آيات الله وكلامه حروفاً، فهذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: (سمعت هشام بن حزام يقرأ سورة الفرقان فقرأ فيها حروفاً لم يكن نبي الله صلى الله عليه وسلم أقرأنيها، قال: فأردت أن أساوره وأنا في الصلاة فلما فرغ قلت: من أقرأك هذه القراءة. قال: رسول الله صلى الله عليه وسلم. قلت: كذبت والله ما هكذا أقرأك رسول الله صلى الله عليه وسلم. فأخذت بيده أقوده فانطلقت به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت: يا رسول الله إنك أقرأتني سورة الفرقان وإني سمعت هذا يقرأ حروفاً لم تكن أقرأتنيها. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إقرأ يا هشام. فقرأ كما كان قرأ. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: هكذا أنزلت. ثم قال: إقرأ يا عمر فقرأت فقال: هكذا أنزلت. ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن القرآن نزل على سبعة أحرف فاقرؤا ما تيسر منه) "16".

والآثار في ذلك كثيرة.

أما أن الله عز وجل يتكلم بصوت وهو ما قدمنا أنه قول السلف من الصحابة رضوان الله عنهم ومن تابعهم فأدلته كثيرة منها:

1) قال البخاري في صحيحه في كتاب التفسير في باب قوله: {وترى الناس سكارى} حدثنا عمر بن حفص حدثنا أبي حدثنا الأعمش حدثنا أبو صالح عن أبي سعيد الخدري قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: ((يقول الله عز وجل يوم القيامة: يا آدم! فيقول: لبيك ربنا وسعديك. فينادي بصوت: إن الله يأمرك أن تخرج من ذريتك بعثاً إلى النار. قال: يا رب وما بعث النار؟ قال: من كل ألف - أراه- قال: تسعمائة وتسعة وتسعين. فحينئذ تضع الحامل حملها، ويشيب الوليد، وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد. فشق

"16" البخاري(6/227-228) وأحمد(1/24،42-43) والنسائي(2/150-152) وغيرهم.

ذلك على الناس حتى تغيرت وجوههم فقال النبي صلى الله عليه وسلم: من يأجوج ومأجوج تسعمائة وتسع وتسعين. ومنكم واحد. ثم أنتم في الناس كالشعرة السوداء في جنب الثور الأبيض أو كالشعرة البيضاء في جنب الثور الأسود وإني لأرجوا أن تكونوا ربع أهل الجنة، فكبرنا. ثم قال: ثلث أهل الجنة، فكبرنا. ثم قال: شطر أهل الجنة، فكبرنا)) "17".

قال البخاري في خلق أفعال العباد: حدثنا داود بن شبيب حدثنا همام حدثنا القاسم بن عبدالواحد حدثني عبدالله بن محمد بن عقيل أن جابر بن عبدالله حدثهم أنه سمع عبدالله بن أنيس رضي الله عنه يقول: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: (يحشر العباد فيناديهم بصوت يسمعه من بَعُدَ كما يسمعه من قرب أنا الملك أنا الديان لا ينبغي لأحد من أهل الجنة أن يدخل الجنة وأحد من أهل النار يطلبه بمظلمة) "18".

وقال البخاري قبله: (وفي هذا دليل أن صوت الله لا يشبه أصوات الخلق لأن صوت الله جل ذكره يسمع من بعد كما يسمع من قرب وأن الملائكة يصعقون من صوته فإذا تنادى الملائكة لم يصعقوا وقال الله عز وجل: {فلا تجعلوا لله أنداداً}).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: (وذلك أن من آمن بما وصف الله به كلامه، فأقر بأنه جميعه كلام الله، وأقر به فلم يكفر بحرف منه، وعلم أن كلام الله أفضل من كل كلام وأن خير الكلام كلام الله، وأنه لا أحسن من الله حديثاً ولا أصدق منه قيلاً، وأقر بما أخبر الله به ورسوله من فضل بعض كلامه، كفضل فاتحة الكتاب وآية الكرسي وقل هو الله أحد ونحو ذلك؛ بل وتفضيل يس وتبارك والآيتين من آخر سورة البقرة؛ بل وتفضيل البقرة وآل عمران وغير ذلك من السور والآيات

"17" وأخرجه أحمد (3/32-33) ومسلم(1/201-202)

"18" وأخرجه البخاري في الأدب المفرد وأحمد (3/495) والحاكم (2/437-438،4/574-575) وصححه ووافقه الذهبي. وذكره البخاري في صحيحه معلقاً في كتاب التوحيد وأخرجه الطبراني في الكبير كما في مجمع الزوائد (1/133) وقال الهيثمي فيه عبدالله بن محمد ضعيف أ.ه. قلت: وفي التقريب صدوق في حديثه لين. قال ابن حجر في فتح الباري (1/174) بأن له طريقاً آخر أخرجه الطبراني في مسند الشاميين وتمام في فوائده من طريق الحجاج بن دينار عن محمد بن المنكدر عن جابر بمعناه وقال ابن حجر:إسناده صحيح.

التي نطقت النصوص بفضلها وأقربأنه كلام الله ليس منه شيء كلاماً لغيره لا معانيه ولا حروفه فهو أبعد عن جعله عِضين) [19].

مسألة:

سئل شيخ الإسلام رحمه الله عن إمام يقول يوم الجمعة على المنبر في خطبته: إن الله تكلم بكلام أزلي قديم... ليس بحروف ولا صوت، فهل تسقط الجمعة خلفه أم لا؟ وما يجب عليه؟

فأجاب رحمه الله تعالى: (الذي اتفق عليه أهل السنة والجماعة أن القرآن كلام الله منزل غير مخلوق، وأن هذا القرآن الذي يقرؤه الناس هو كلام الله، يقرؤه الناس بأصواتهم، فالكلام كلام الباري، والصوت صوت القارئ، والقرآن جميعه كلام الله حروفه ومعانيه. وإذا كان الإمام مبتدعاً، فإنه يصلي خلفه الجمعة، وتسقط بذلك، والله أعلم) [20].

قال الذهبي رحمه الله تعالى: (وأما داود فقال: القرآن محدث، فقام على داود خلق من أئمة الحديث وأنكروا قوله وبدَّعوه، وجاء من بعده طائفة من أهل النظر فقالوا: كلام الله معنى قائم بالنفس، وهذه الكتب المنزلة دالة عليه ودققوا وعمقوا، فنسأل الله الهدى واتباع الحق، فالقرآن العظيم حروفه ومعانيه وألفاظه كلام رب العالمين غير مخلوق وتلفُّظنا به من أعمالنا المخلوقة قال النبي صلى الله عليه وسلم: "زينوا القرآن بأصواتكم") [21]

وقال أبو أحمد بن الحسين الشافعي المعروف بابن الحداد رحمه الله تعالى: (وأن القرآن كلام الله رب العالمين نزل به الروح الأمين على قلب محمد خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم، أنزله بعلمه والملائكة يشهدون، وكفى بالله شهيداً، وأنه غير مخلوق، وأن السور والآيات والحروف والمسموعات والكلمات التامات التي أعجزت الأنس والجن على أن يأتوا بمثله ولو كان

---

[19] جواب أهل العلم والإيمان 79-80

[20] الفتاوى 23/361

[21] أخرجه أحمد(283، 285، 304) وابن ماجة(1342) والنسائي(2/179-180) والحاكم(1/573) وأبو داود الطيالسي(738) وابن حبان(6610-موارد الظمآن)

بعضهم لبعض ظهيراً ليس بمخلوق كما قال المعتزلي، ولا عبارة كما قال الكلابي، وأنه المتلو بالألسنة المحفوظ في الصدور، المكتوب في المصاحف، المسموع لفظه، المفهوم معناه، لا يتعدد بتعدد الصدور والمصاحف والآيات، ولا يختلف باختلاف الحناجر والنغمات) [22].

فمن أين للبيجوري وأساتذته وتلاميذه هذه العقيدة في كلام الله تعالى؟

قال شارح العقيدة الطحاوية: بعد سرده هذا القول - وهو أن الكلام معنى نفسي قديم واللفظ المعبِّر عنه مخلوق -: (وهنا معنى عجيب، وهو أن هذا القول له شبه قوي بقول النصارى القائلين باللهوت والناسوت! فإنهم يقولون: كلام الله هو المعنى القائم بذات الله الذي لا يمكن سماعه، وأما النظم المسموع فمخلوق، فإفهام المعنى القديم بالنظم المخلوق يشبه امتزاج اللاهوت بالناسوت الذي قالته النصارى في عيسى عليه السلام، فانظر إلى هذا الشبه ما أعجبه) [23].

ولا تنسَ أخي القارئ احتجاج البيجوري وأمثاله على عقيدته بأن الكلام هو المعنى النفسي القديم القائم بالذات بقول الأخطل النصراني المولد:

إن الكلام لفي الفؤاد وإنما جُعِلَ اللسان على الفؤاد دليلاً

---

[22] اجتماع الجيوش الإسلامية 104
[23] الطحاوية 198

البيجوري وحديث الآحاد

البيجوري من قوم لا يحتجون لعقائدهم إلا بـالمتواتر لأنها قطعية بـزعمهم، ولا يقبلـون حـديث الآحـاد لأنه يفيد الظن فقـط، وهـؤلاء القـوم يزعمـون التـوقي لـدينهم من الدخن والتحرز من اعتقاد الخطأ.

والعجيب أن البيجوري الـذي يـرى أن الكشف أعلى درجـات الأدلة في إثبـات العقائد كما فصـلنا في ذلك في بابه يرفض الأحـاديث النبوية الآحادية ويـزعم أنها لا تصـلح دليلاً للاحتجاج.

فهو يــرفض حــديث النــبي صــلى الله عليه وســلم النصي أن والـده في جهنم لأنه حـديث آحـاد، وهو يـرفض حديث إطالة الأجل بصلة الرحم لأنه حديث آحاد ولا يجزم أن للأنبياء أحواض لأنها أحاديث آحاد "1".

وهذه المسألة هي من المسائل التي ظهرت عنــدما نبتت نابتة السوء في تاريخ الإسـلام فـدخلت آثـار اليونـان ونفايات السابقين إلى أمتنا فصارت مسلّمة لا شـبهة فيها حـتى زعم أقـوام أن الإجمـاع قد انعقد على أن العقائد لا يقبل فيها إلا بالمتواتر.

"1" انظر شرح الجوهرة ص29 – 160 – 184.

قال الشيخ شلتوت: (نصوص العلماء المتكلمين وأصوليين مجتمعة على أن خبر الآحاد لا يفيد اليقين فلا تثبت به العقيدة ونجد المحققين من العلماء يصفون ذلك بأنه ضروري لا يصح أن ينازع أحد في شيء) "2".

فعندما بلغ الأمر بهذه الأمة إلى هذه الحالة، وصار أمر أعلامها وعلمائها إلى تقليد السابقين وترك النصوص والآثار، تغيرت العقائد ومسخت أصول الإسلام، فصار المنطق اليوناني دثار الأصوليين ومهوى مرادهم.

وهذا الأمر - وهو ترك الحتجاج بحديث الآحاد في العقائد- صرف الناس عن طريق الهدى والصواب، فتحجمت العقيدة، وقلص التوحيد، فصار أهل الكلام يملؤون مداخل العقيدة بآرائهم ونتاج عقولهم وأهوائهم فخرج الحق من نصله وحل الخبيث بدلاً منه، ولعل قارئ شرح جوهرة التوحيد للبيجوري يرى ذلك واضحاً جلياً.

ولأهمية هذه الردود على المذاهب الدخيلة التي تزيت بزي الإسلام وعقيدته فإننا نقتصر على الإجابة بالأدلة النقلية النصية وبأقوال أهل العلم الموثقين المقبولين بإجماع أهل الأمة.

تحقيق المسألة:

التواتر في لغة القرآن والعرب التتابع قل أو كثر قال تعالى: {ثم أرسلنا رسلنا تترا كل ما جاء أمة رسولها كذبوه}.

والمعنى أن الرسل تتابعت إلى أممها وتواترت إليها.

قال الشوكاني: (والمتواتر لغة عبارة عن مجيء الواحد بعد الواحد بفترة بينهما مأخوذ من الوتر) "3".

وفي الاصطلاح: (خبر جمع عن جمع محسوس يمنع تواطؤهم على الكذب) "4".

"2" الإسلام عقيدة وشريعة 74 – 76.
"3" الإرشاد 46.
"4" المرجع السابق.

وقيـــــــل: هو أن يرويه جماعة عن جماعة مثلها من أول طريقه إليهم قرناً فقرنـاً حـتى يصل من الصـادر منه إلى المرفوع إليه.

والآحاد: هو ما لم يوجد على صفة المتواتر.

ولا يظن ظـــان أن الآحـــاد ما رواه الواحد عن واحد إلى النبي صـلى الله عليه وسـلم؛ فليس هـذا المـراد وإن عُد من الآحاد.

والمتواتر: عنـدهم هو أن يبلغ العـدد مبلغـاً من غـير العادة تواطؤهم على الكذب ولا يُقيّد ذلك بعدد معين.

والمســالة كما هي معروضة واضــحة دائــرة حــول حصول الاطمئنان القلبي، فهي في الأصل شاء المنكـرون أم أبــوا تعــود إلى نفس الشــخص الســامع وحاله لا إلى ضابط صحيح.

وما دام أن المســألة تعــود إلى الســامع فقد يحصل الاطمئنــان واليقين في نفس الســامع بخــبر الواحد فقط لاعتقـاده بصـدقه وقد لا يحصل الاطمئنـان واليقين بخـبر جماعة كثيرة لتردده وتوارد وساوسه.

ولعل إدراكنا لهــذا الأمر يكشف لنا عن حقيقة أصل هذه البدعة - وهي رفض حـديث الآحـاد في العقيـدة- وهو أن أقوامـاً ظنـوا أن الحقـائق هي ما وجـدوه من نفايـات اليونان؛ فوجـدوا أن هـذه الحقـائق كما زعمـوا تخـالف ما ورد من كتــاب الله وســنة رســوله ســواء أكــانت هــذه المســائل في الإلهيــات أم في غيرها فــانتحلوا الأســباب والـدلائل لردها لحصـول الشك لـديهم في هـذه النصـوص فابتدع لهم شيطانهم هذه المقالة.

قــال ابن القيم: (وأعلم أن خــبر الواحد وإن كــان يحتمل الصدق والكذب والظن وللتجوز فيه مـدخل؛ ولكن هـذا الـذي قلنـاه - وهو أن الحـديث بنفسه يفيد العلم- لا يناله أحد إلا بعد أن يكـون معظم وقته مشـتغلاً بالحـديث والبحث عن ســيرة النقلة والــرواة ليقف على رســوخهم في هــذا العلم وكبــير معــرفتهم به وصــدق ورعهم في أقوالهم وأفعالهم وشدة حـذرهم من الطغيـان والزلل وما بـذلوه من شـدة العناية في تمهيد هـذا الأمر والبحث عن أحـوال الـرواة والوقـوف على صـحيح الأخبـار وسـقيمها

وكانوا بحيث لو قتلوا لم يسامحوا أحداً في كلمة واحدة يتقولها على رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا فعلوا هم بأنفسهم ذلك وقد نقلوا هذا الدين كما نقل إليهم وأدوا كما أدى إليهم وكانوا في صدق العناية والاهتمام بهذا الشأن ما يجلّ عن الوصف ويقصر دونه الذكر وإذا وقف المرء على هذا في شأنهم وعرف أحوالهم وخبر صدقهم وورعهم وأمانتهم ظهر له العلم فيما نقلوه ورووه)"5".

ولآن أهل الحديث هم أدرى الناس بكلام رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو أعلم أمة محمد صلى الله عليه وسلم بما يفيد الاطمئنان واليقين من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وما لا يفيد ذلك فقد حاول الخصوم إخراج هؤلاء الزمرة من ساحة المحاورة ليخلو لهم الجو فينشروا بضاعتهم الفجة ويوردها الناس بلا مدافع ولذلك قالوا: (وبعدما تبين اختصاص كل علم بموضوعه يتضح أن تحقيق مسألة عدم جواز الاستدلال بحديث الآحاد في العقيدة إنما يكون في علم أصول الفقه ولا تعلق له بالمسائل الفقهية والحديثية إلا من حيث التمثيل والتوضيح؛ بل هي التي لها علاقة بعلم الأصول أو لم يبنوا بحث هذه المسألة على الأسس الأصولية يكون بحثهم ناقصاً غير ناضج وبالتالي لا يعتد بآرائهم وأقوالهم في هذا الموضوع) "6".

وبياناً لهذا المعنى يقول ابن القيم رحمه الله تعالى: (كون الدليل من الأمور الظنية أو القطعية أمر نسبي يختلف باختلاف المدرك المستدل ليس هو صفة للدليل في نفسه فهذا أمر لا ينازع فيه عاقل فقد يكون قطعياً عند زيد ما هو ظني عند عمرو فقولهم إن إخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم الصحيحة المتلقاة بين الأمة بالقبول لا تفيد العلم؛ بل هي ظنية هو إخبار عما عندهم إذ لم يحصل لهم من الطرق التي استفاد بها العلم أهل السنة ما حصل لهم فقولهم لم نستفد بها العلم لم يلزم منها النفي العام على ذلك بمنزلة الاستدلال على أن الواجد للشيء العالم به غير واجد له ولا عالم به فهو كمن يجد من نفسه وجعاً أو لذة أو حباً أو بغضاً فينتصب له من يستدل على أنه غير وجع ولا متألم ولا محب ولا مبغض ويكثر له من الشبه التي غايتها أني لم أجد ما

"5" مختصر الصواعق المرسلة 2/409 – 410.
"6" الاستدلال الظني في العقيدة 11.

وجدته ولو كـان حقـاً لاشـتركت أنا وأنت في وهـذا عين الباطل وأحسن ما قيل:

أقول للائم المهدي ملامته ذق الهوى وإن استطعت الملام لم

فيقـال لـه: اصـرف عنايتك إلى ما جـاء به الرسـول صـلى الله عليه وسـلم والحـرص عليه وتتبعه وجمعه ومعرفة أحـوال نقلته وسـيرتهم وأعـراض عما سـواه واجعله غاية طلبك ونهاية مقصدك؛ بل احرص عليه حرص أتبـاع أربـاب المـذاهب على معرفة مـذاهب أئمتهم بحيث حصل لهم العلم الضـروري بأنها مـذاهبهم وأقـوالهم ولو أنكر ذلك عليهم منكر لسخروا منه، وحينئـذٍ تعلم هل تفيد أخبار رسول الله صـلى الله عليه وسـلم العلم أولا تفيـده فأما مع إعراضك عنها وعن طلبها فهي لا تفيـدك علمـاً، ولو قلت: لا تفيـدك أيضـاً ظنـاً لكنت مخـبراً بحصـتك ونصيبك منها) [7].

أقوال الأئمة في هذا المسألة:

ذكر كثير من أهل العلم الإجماع السلفي على قبـول حـديث الآحـاد في العقائد وأنه يفيد العلم كما أنه يفيد العمل.

قال السفاريني في لوامع الأنوار البهية: (يعمل بخبر الآحاد في أصول الدين، وحكى الإمام ابن عبدالبر الإجماع على ذلك) [8].

وقال الإمام الشافعي رحمه اللـه: (ولم يـزل سـبيل سلفنا والقرون بعدهم إلى من شـاهدنا هـذه السـبيل (أي تثبت بخبر الواحد) [9]، وقال رحمه الله: (ولو جاز لأحد أن يقـول في علم الخاصـة: أجمع المسـلمون قـديماً وحـديثاً على تثـبيت خـبر الواحد والانتهـاء إليـه، بأنه لم يعلم من فقهاء المسلمين أحد إلا وقد ثبته جـاز لي. ولكـني أقـول: لم أحفظ عن فقهـاء المسـلمين أنهم اختلفـوا في تثـبيت خبر الواحد، بما وصفت من أن ذلك موجوداً على كلهم) [10].

[7] مختصر الصواعق 2/432 – 433.
[8] 1/19.
[9] الرسالة 453.
[10] الرسالة 457 – 458.

قال ابن القيم رحمه الله: (وقد صرح الشافعي في كتبه بأن خبر الواحد يفيد العلم، نص على ذلك صريحاً في كتاب اختلاف مالك).

وفي كتاب المسودة قال أبو بكر المروزي: (قلتُ لأبي عبدالله - الإمام أحمد -: ههنا إنسان يقول: إن الخبر يوجب عملاً ولا يوجب علماً، فعابه وقال: ما أدري ما هذا).

قال المؤلف: (وظاهر هذا أنه سوى فيه بين العمل والعلم) "11".

وقال السفاريني: (نقل أحمد بن جعفر الفارسي في كتاب الرسالة عن الإمام أحمد رضي الله عنه أنه قال: لا نشهد على أحد من أهل القبلة أنه في النار لذنب عمله ولا لكبيرة أتاها إلا أن يكون ذلك في حديث كما جاء نصدقه أنه كما جاء فقوله: ونعلم أنه كما جاء نص صريح في أن هذه الأحاديث تفيد العلم عنده) "12".

قال الشوكاني: (وقال أحمد بن حنبل أن يفيد بنفسه العلم) "13".

وقال: (وحكاه ابن جواز منداد عن مالك بن أنس واختاره) "14".

وقال ابن حزم: (وقد ثبت يقيناً أن خبر الواحد العدل عن مثله مبلغاً إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حق مقطوع به موجب للعمل والعلم معاً) "15".

وقال ابن أبي العز الحنفي: (وخبر الواحد إذا تلقته الأمة بالقبول، عملاً به وتصديقاً له يفيد العلم اليقيني عند جماهير الأمة، وهو أحد قسمي المتواتر. ولم يكن بين سلف الأمة نزاع في ذلك كالأحاديث المتفق عليها بين الصحيحين: كخبر عمر إنما الأعمال بالنيات. وخبر ابن عمر رضي الله عنهما "نهى عن بيع الولاء وهبته". وخبر أبي هريرة: ولا تنكح المرأة على عمتها ولا خالتها،

"11" المسودة 242.
"12" لوامع الأنوار البهية 1/18.
"13" الإرشاد 48.
"14" انظر الأحكام 1/119.
"15" الأحكام 1/124.

وكقوله: يحـرم من الرضـاع ما يحـرم من النسب وأمثـال ذلك) "16".

وفي فتاوى شـيخ الإسـلام ابن تيمية أنه يجب العمل بالأحاديث الصحيحة التي لا يعلم لها معـارض يـدفعها وهي تنقسم إلى ما دلالته قطعية بـــأن يكـــون قطعي السـند والمتن وهو ما تيقنا أن رسـول الله قاله وتيقنا أنه أراد به تلك الصورة وإلى ما دلالته ظاهرة غير قطعية.

فأما الأول فلا خلاف بين العلمـــــاء في الجملة أنه يجب اعتقاد موجبه علماً وعملاً...

وقد اختلفـــوا في خـــبر الواحد الـــذي تلقته الأمة بـالقبول والتصـديق أو الـذي اتفقت على العمل بـه، فعند عامة الفقهـــاء وأكـــثر المتكلمين أنه يفيد العلم وذهب طوائف من المتكلمين إلى أنه لا يفيـــــد... وأما القسم الثـاني وهو الظـاهر فهـذا يجب العمل به في الأحكـام الشرعية باتفاق العلماء المعتبرين فإن كان تضـمن حكمـاً علمياً مثل الوعيد ونحوه فقد اختلفـوا فيه فـذهب طوائف من الفقهـاء إلى أن خـبر الواحد العـدل إذا تضـمن وعيـداً على فعل فإنه يجب العمل به في تحـــريم ذلك الفعل ولا يعمل به في الوعيد إلا أن يكـون قطعيـاً وكـذلك لو كـان المتن قطعيـاً لكن الدلالة ظـاهرة. وذهب الأكـثرون من الفقهـاء وهو قـول عامة السـلف إلى أن هـذه الأحـاديث حجة في جميع ما تضمنته من الوعيد فإن أصحاب رسـول الله والتابعين من بعدهم ما زالـوا يثبتـون بهـذه الأحـاديث الوعيد كما يثبتون بها العمل "17".

وقـال رحمه اللـه: (ومن الحـديث الصـحيح ما تلقـاه المسلمون بالقبول فعملوا به فهذا يفيد العلم ونجـزم بأنه صـدق لأن الأمة تلقته بـالقبول تصـديقاً وعملاً بموجبه والأمة لا تجتمع على ضلالة) "18".

ويقـــول كـــذلك: (فـــالخبر الـــذي رواه الواحد من الصحابة والاثنـان إذا تلقته الأمة بـالقبول والتصـديق أفـاد العلم عند جمـاهير العلمـاء ومن النـاس من يسـمي هـذا المستفيض، والعلم هنا حصل بإجماع العلمـاء على صـحته فـإن الإجمـاع لا يكـون على خطأ ولهـذا كـان أكـثر متـون

"16" شرح العقيد الطحاوية 399 – 400.
"17" مجموع الفتاوى 20/257 – 268.
"18" مجموع الفتاوى 18/16.

الصــحيحين مما يعلم صــحته عند علمـــاء الطوائف من الحنفية والمالكية والشــافعية والحنبلية والأشــعرية وإنما خالف في ذلك فريق من أهل الكلام) [19].

قال الشوكاني: (ولا نزاع في أن خبر الواحد إذا وقع الإجماع على العمل بمقتضاه فإنه يفيد العلم لأن الإجمـاع عليه قد صيره من المعلوم صدقه، وهكـذا خـبر الواحد إذا تلقته الأمة بـالقبول فكـانوا بين عامل به ومتـأول له ومن هذا القسم أحاديث الصحيحين فإن الأمة قد تلقت ما فيها بالقبول) [20].

قال ابن حزم: (قال أبو سـليمان والحسـين بن علي الكرابيسي والحـارث بن أسد المحاسـبي: إن خـبر الواحد العــدل عن مثله عن رســول الله صــلى الله عليه وســلم يوجب العلم والعمل جميعاً) [21].

وقال ابن تيمية رحمه الله: (وهو قول المنصفين من أصـحاب أبي حنيفـة، ومالك والشـافعي وأحمـد، إلا فرقة قليلة من المتأخرين اتبعوا في ذلك طائفة من أهل الكلام أنكروا ذلك).

وقال: (وأهل الحديث والسلف على ذلك، وهو قــول أكثر الأشعرية، كأبي إسحاق وابن فورك).

وقـــــال: (وهو قــــول أبي حامد وأبي الطيب وأبي إســحاق من الشــافعية، وقــول القاضي عبــدالوهاب من المالكيـة، وهو قـول السرخسي وأمثاله من الحنفيـة، وإذا كان الإجماع على تصديق الخبر موجباً للقطع به فالاعتبـار في ذلك بإجماع أهل العلم والحديث) [22].

قال أبو إسحاق الإسفراييني: (أهل الصنعة مجمعون على أن الأخبـار الـتي اشـتمل عليها الصـحيحان مقطـوع بصحة أصولها ومتونها، ولا يحصل الخلاف فيها بحـال، وإن حصل فذاك اختلاف في طرقها ورواتها؛ قال: فمن خـالف حكمه خـبراً منها وليس له تأويل ســائغ للخــبر، نقضــنا حكمه، لأن هذه الأخبار تلقتها الأمة بالقبول) [23].

---

[19] مجموع الفتاوى 18/70.
[20] إرشاد الفحول 50.
[21] الأحكام 1/119.
[22] مجموع الفتاوى 13/351 – 352.
[23] قواعد التحديث للقاسمي 85.

وقـال ابن حجـر: (الخـبر المحتف بـالقرائن قد يفيد العلم خلافاً لمن أبى ذلك) "24".

هذه أقوال لأساطين العلم وجهابذة الفتوى يرون أن حـديث الآحـاد يفيد العلم والعمل وأن هـذه الأحـاديث كما تـــــوجب العلم والعمل كــــــذلك هي حجة في العقائد والتصـورات والـزعم بخلاف ذلك أمر محـدث بـدعي لم يعلم عند السلف السابقين.

قــال ابن حـــزم: (وقد أوجب الله تعــالى على كل طائفة إنـــذار قومها وأوجب على قومها قبـــول نـــذارتهم بقوله تعـالى: {ولينــذروا قــومهم إذا رجعــوا إليهم لعلهم يحـذرون} فقد حـذر تعـالى من مخالفة نـذارة الطائفة - والطائفة في اللغة تقع على بعض الشـيء كما قـدمنا- ولا يختلف اثنـان من المسـلمين في أن مسـلماً ثقة لو دخل أرض الكفر فـدعا قومـاً إلى الإسـلام وتلا عليهم القـرآن وعلمهم الشرائع لكان لزامـاً عليهم قبوله ولكـانت الحجة عليهم بـــذلك قائمة وكـــذلك لو بعث الخليفة أو الأمـــير رســولاً إلى ملك من ملــوك الكفر أو أمة من أمم الكفر يدعوهم إلى الإسـلام ويعلمهم القـرآن وشـرائع الـدين ولا فـرق وما قـال قط مسـلم أنه كـان حكـام أهل اليمن أن يقولوا لمعاذ ولمن بعثه رسول رسول الله صلى الله عليه وســـلم وعقد الإيمـــان حق عنـــدنا؛ ولكن ما أفتيتنا به وعلمتناه من أحكام الصلاة ونـوازل الزكـاة وسـائر الديانة عن النبي صـلى الله عليه وسـلم، وما أقرأتنا من القـرآن عنه عليه السلام فلا نقبله منك ولا نأخذه عنك لأن الكذب جـــائز عليك ومتـــوهم منك حـــتي يأتينا لكل ذلك كـــواف وتواتر؛ بل لو قـالوا ذلك لكـانوا غـير مسـلمين، وكـذلك لا يختلف اثنـان في أن رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم إنما بعث من بعث من رسـله إلى الآفـاق لينقلبــوا إليهم عنه القرآن والسنن وشـرائع الـدين، وأنه عليه السـلام لم يبعثهم إليهم ليشــرعوا لهم دينــاً لم يــأت هو به عن الله تعالى. فصح بهذا كله أن كل ما نقله الثقة عن الثقة مبلغاً إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من قـرآن أو سـنن ففرض قبوله والإقرار به والتصـديق به واعتقـاده والتـدين به) "25".

وقـال رحمه اللــه: (ومن البرهـان في قبـول خـبر الواحد: خبر الله تعـالى عن موسى عليه السـلام أنه قـال

"24" شرح النخبة 7.
"25" الأحكام 1/112 – 113.

له رجل: إن الملأ يأتمرون بك ليقتلوك فصدقه وخرج فاراً وتصديقه المرأة في قولها: {إن أبي يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا} فمضى معها وصدقها) "[26]".

حكم منكر أحاديث الآحاد:

قال الشيخ عمر الأشقر: (ذهب الإمام إسحاق بن راهويه إلى القول بكفره والصحيح أنه لا يكفر لأنه لا يكذب الرسول صلى الله عليه وسلم وإنما يتهم الرواة الذين نقلوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالغلط ولعل الذين ذهبوا إلى القول بكفره نظروا إلى الأحاديث المجمع على صحتها أو التي تلقتها الأمة بالقبول وليس معنى عدم القول بتكفيره أنه مسلم؛ لا بل يخشى على مثل هذا أن يصيبه الله بعقاب لأنه أعرض عن قول رسول الله صلى الله عليه وسلم والله يقول: {فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم} ونقول لمثل هذا كما قال الشافعي رحمه الله ليس لك أن تشك في أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم التي رواها الثقات العدول فهذه الأحاديث أصل الدين والدين محفوظ إلى نهاية الزمان) "[1]".

وأما من رأى أن السنة بالكلية لا تصلح دليلاً للعقائد واليقينيات ويزعم أنه لا يرضى إلا بكتاب الله عز وجل فهو كافر كما أفتى به كثير من العلماء:

قال السيوطي: (فاعلموا رحمكم الله أن من أنكر كون حديث النبي صلى الله عليه وسلم قولاً كان أو فعلاً بشرطه المعروف في الأصول حجة كفر وخرج من دائرة الإسلام وحشر مع اليهود والنصارى أو مع من شاء الله من فرق الكفرة.

روى الإمام الشافعي رضي الله عنه يوماً حديثاً وقال إنه صحيح فقال له قائل: أتقول به يا أبا عبدالله؟ فاضطرب وقال: يا هذا أرأيتني نصرانياً؟ أرأيتني خارجاً من كنيسة؟ أرأيت في وسطي زناراً؟ أروي حديثاً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أقول به؟) "[2]".

"[26]" الأحكام 1/118.
"[1]" الاعتقاد 88.
"[2]" مفتاح الجنة 6.

وقال ابن حزم: (ولو أن امرءاً قال: لا نأخذ إلا ما وجدنا في القرآن لكان كافراً بإجماع الأمة، ولكان لا يلزمه إلا ركعة ما بين دلوك الشمس إلى غسق الليل وأخرى عند الفجر لأن ذلك هو أقل ما يقع عليه اسم صلاة ولا حد للأكثر في ذلك وقائل هذا كافر مشرك حلال الدم والمال) [3].

البيجوري ومفهوم الإيمان

يقول اللقاني:

وفسر الإيمان بالتصديق والنطق فيه الخلف بالتحقيق [1]

---

[3] الإحكام 2/80.
[1] الشرح 42.

وفسر البيجوري هـذا النظم بقولـه: (إن الإيمـان هو مطلق التصديق، والإيمان والعمل الصالح متغـايران، ومن صدق بقلبه ولم يتفق له الإقرار في عمره لا مرة ولا أكثر من مرة مع القدرة على ذلك فهو مـؤمن عند الله تعـالى؛ ولكنه شرط في إجراء الأحكام الدنيوية) "2".

قـال: (والـراجح أن الإيمـان هو التصـديق وهو غـير الجزم) "3".

هل الإيمان هو التصديق فقط؟!!

إن القـول أن الإيمـان هو التصـديق خطأ كبـير، ذلك لأن فيه اقتصاراً على المعـنى اللغـوي فـط، والإسـلام قد أضاف للألفاظ معان شرعيّة زيادة على المعاني اللغويــة، مع أن الإيمان في بعض وجـوه الأصل اللغـوي تفيد العمل "4".

مع أن هناك اعـتراض على قـولهم بـأن الإيمـان في اللغة عبــارة عن التصـديق بمنع الـترادف بين التصــديق والإيمـــان، وهب أن الأمر يصح في موضـــع، فلم قلتم إنه يــوجب الـترادف مطلقــاً؟ وكـذلك اعـترض على دعـوى الترادف بين الإسلام والإيمان.

ووما يدل على عدم الترادف:

أنه يقال للمخبرَ إذا صدق: صدّقه، ولا يقـال آمنه ولا آمن بــه؛ بل يقـال آمن لــه، كما قـال تعـالى: {فـآمن له لــــــــــوط}، {فما آمن لموسى إلا ذرية من قومه على خـوف}، وقـال تعـالى: {يـؤمن بالله ويـؤمن للمؤمـنين}. ففرق بين المعـدّى بالبـاء والمعـدى بـاللام، فـالأول يقـال للمخبرَ به، والثاني للمخبر. ولا يرد كونه يجوز أن يقال: ما أنت بمصدقٍ لنـا، لأن دخـول اللام لتوقية العامـل، كما إذا تقدم المعمول، أو كان العامل اسم فاعل، أو مصدراً "5".

فاقتصـــار الإيمـــان على التصـــديق فقط اقتصـــار مرفــوض، ذلك لأن الرســول صــلى الله عليه وســلم قد أوقفنا على معـــاني الإيمـــان وعلمنا من مـــراده علمـــاً

"2" الشرح 46 – 51.
"3" الشرح 34.
"4" انظر شرح الطحاوية 338.
"5" الطحاوية 338.

ضرورياً أن من قيل إنه صدق ولم يتكلم بلسانه بالإيمان مع قدرته على ذلك ولا صلى ولا صام ولا أحب الله ورسوله ولا خاف الله؛ بل كان مبغضاً للرسول معادياً له يقاتله: أن هذا ليس بمؤمن "[6].

ومن هنا التصديق لا يطلق على المعنى المجرد عن اللفظ ولذا لم يجعل الله أحداً مصدقاً للرسل بمجرد العلم والتصديق الذي في قلوبهم حتى يصدقوهم بألسنتهم ولا يوجد في كلام العرب أن يقال فلان صدق فلاناً أو كذبه إذا كان يعلم بقلبه أنه صادق أو كاذب ولم يتكلم بذلك "[7].

وقد نفى الله الإيمان عمن صدق بقلبه ولم ينطقها بلسانه فقال سبحانه: {وما هم بمؤمنين}. وقد بين الله سبحانه حال أقوام صدقوا بقلوبهم وأبوا أن يقروا بألسنتهم بأنهم كفرة مكذبين للرسل وللحق قال سبحانه: {الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبنائهم وإن فريقاً منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون}.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (والمشاهد أن هناك خلقاً من الكفار يعرفون في الباطن أن دين الإسلام حق ويذكرون ما يمنعهم من الإيمان إما معاداة أهلهم وإما ما لا يحصل من جهتهم يقطعونه عنهم وإما خوفهم إذا آمنوا أن لا يكون لهم حرمة عند المسلمين كحرمتهم في دينهم قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاء بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ * فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ فَعَسَى اللّهُ أَن يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِ فَيُصْبِحُواْ عَلَى مَا أَسَرُّواْ فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ * وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُواْ أَهَؤُلاء الَّذِينَ أَقْسَمُواْ بِاللّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَأَصْبَحُواْ خَاسِرِينَ}) "[8].

والمفسرون متفقون على أنه نزلت بسبب قوم ممن كان يظهر الإسلام وفي قلبه مرض وخاف أن يغلب أهل الإسلام فيوالي الكفار من اليهود والنصارى وغيرهم للخوف الذي في قلوبهم لا لاعتقادهم أن محمداً كاذب

"[6]" شرح الطحاوية 339، وبمثله يقول شيخ الإسلام رحمه الله في كتاب الإيمان 112.
"[7]" الإيمان 113.
"[8]" المائدة 51 – 53.

واليهـود والنصـارى وغـيرهم للخـوف الـذي في قلـوبهم لا لاعتقادهم أن محمداً كـاذب واليهـود والنصـارى صـادقون فقد روي أن عبـادة بن الصامت قـال: (يا رسـول الله إن لي موالي من اليهـود وإني أبـرأ إلى الله من ولاية يهـود)، فقال عبدالله بن أبي: (لكني رجل أخاف الـدوائر ولا أبـرأ من ولاية يهود)، فنزلت هذه الآية"[9]".

ويقــولهم إن الإيمــان هو التصــديق فقط إخراج للأعمال منه، وهو قول باطل:

قال شيخ الإسلام ابن تيميـة: (لقد غلط المرجئة في أصلين أحدهما ظنهم أن الإيمان مجرد تصديق وعلم فقط ليس معه عمل وحــال وحركة وإرادة ومحبة وخشــية في القلب، فــإن أعمــال القلــوب كلها فيها مما فرضه الله ورسوله فهو من الإيمـان الـواجب، وفيها ما أحبه الله ولم يفرضه فهو من الإيمان المستحب، فالأول لابد لكل مؤمن منــه، ومن اقتصر عليه فهو من الأبــرار أصــحاب اليمين، والثاني للمقربين السابقين وذلك مثل حب الله ورســوله؛ بل أن يكـون الله ورسـوله أحب إليه مما سـواهما؛ بل أن يكون الله ورسوله والجهـاد في سـبيله أحب إليه من أهله وماله، ومثل خشية الله وحده من دون خشية المخلوقين، ورجاء الله وحده دون رجاء المخلوقين، والتوكل على الله وحده دون المخلـوقين، والإنابة إليه مع خشـيته، كما قـال تعــالى: {هــذا ما توعــدون لكل أواب حفيــظ، من خشي الرحمن بالغيب وجاء بقلب منيب}.

والثــــاني من غلط المرجئة ظنهم أن كل من حكم الشـارع بأنه كـافر مخلد في النـار فإنما ذلك لأنه لم يكن في قلبه شيء من العلم والتصـديق، وهـذا أمر خـالفوا به الحس والعقل والشرع، فإن الإنسـان قد يعـرف أن الحق مع غيره ومع ذلك يجحد ذلك لحسده إياه أو لطلب علــوه عليه أو لهوى في النفس وهو في قلبه يعلم أن الحق معه وعامة من كـــذب الرسل علمـــوا أن الحق معهم وأنهم صادقون ولكنهم يكذِّبون إما لحسـدهم وإما لإرادتهم العلو والرئاسة، وإما لحبهم لدينهم الذي كـانوا عليـه، فيكونـون بذلك من أكفر الناس كـإبليس وفرعـون مع علمهم بـأنهم على الباطل والرســـول إنما معتمـــدهم على مخالفة أهـوائهم كقـولهم لنـوح: {أنـؤمن لك واتبعك الأرذلـون} ومعلوم أن إتباع الأرذلين له لا يقدح في صدقه ومثل قول فرعون: {أنـؤمن لبشر مثلنا وقومهما لنا عابـدون} ومثل

"[9]" الإيمان 140 – 141.

قول عامة المشركين: {إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مهتدون} وهذه الأمور وأمثالها ليست حججاً تقدح في صدق الرسل؛ بل تبين أنها تخالف إرادتهم وأهوائهم وعاداتهم، فلذلك لم يتبعوهم وهؤلاء كلهم كفار؛ بل أبو طالب وغيره كانوا يحبون النبي صلى الله عليه وسلم ويحبون علو كلمته وليس عندهم حسد له ولكن كانوا يعلمون أنّ في متابعته فراق دين آبائهم وذم قريش لهم فما احتملت نفوسهم ترك العادة واحتمال هذا الذم فلم يتركوا الإيمان لعدم العلم؛ بل لهوى النفس، فكيف يقال إن كل كافر إنما كفر لعدم علمه بالله) [10].

وقال رحمه الله: (وقد كَفّر السلف كوكيع بن الجراح وأحمد بن حنبل وغيرهما من يقول بهذا القول (إن الإيمان هو التصديق فقط) وقالوا: إبليس كافر بنص القرآن، وإنما كفره باستكباره وامتناعه عن السجود لآدم لا لكونه كَذّبَ خبراً، وكذلك فرعون وقومه قال الله تعالى فيهم: {وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلواً} وقال موسى عليه السلام لفرعون: {لقد علمت ما أنزل هؤلاء إلا رب السماوات والأرض بصائر} فدل على أن فرعون كان عالماً بأن الله أنزل الآيات وهو من أكبر خلق الله عناداً وبغياً لفساد إرادته وقصده لا لعدم علمه) [11]

وقال رحمه الله: (لقد تبين أن الإيمان إذا أطلق في القرآن والسنة يُراد به ما يراد بلفظ البر والتقوى وبلفظ الدين، فإن النبي صلى الله عليه وسلم يبين أن الإيمان بضع وسبعون شعبة أفضلها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، فكان كل ما يحبه الله يدخل في اسم الإيمان، وكذلك لفظ البر يدخل فيه جميع ذلك إذا أطلق وكذلك لفظ التقوى وكذلك الدين أو دين الإسلام) [12].

أما قول البيجوري إن التصديق لا يعني الجزم فهو يعني عنده أن المؤمن لا يجزم بما آمن به والله عز وجل يقول: {إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا} فاشترط سبحانه في صدق إيمانهم كونهم لم يرتابوا ولم يشكوا.

---

[10] الإيمان 138 – 140.
[11] الإيمان 138.
[12] الإيمان 130.

وفي الصحيح من حـديث أبي هريـرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((أشهد أن لا إله إلا الله وأني رســول الله لا يلقى الله بهما عبد غــير شاك فيهما فيحجب عن الجنة)).

فاشترط رسول الله صـلى الله عليه وسـلم الجـزم وعدم الشك لصحة الإيمان.

وفي الصحيح أن رسول الله صـلى الله عليه وسـلم أرسل أبا هريـرة بنعليه قـائلاً لـه: من لقيت من وراء هـذا الحائط يشـهد أن لا إله إلا الله مسـتيقناً بها قلبه فبشـره بالجنة.

ولذلك لابد لكلمة التوحيد من شروط لتكـون مفتاحاً لدخول الجنة، وهذه الشروط هي:

1) العلم بمعناها: قـال تعـالى: {فـاعلم أنه لا إله إلا الله} وفي الصـحيح عن عثمـان بن عفـان رضي الله عنه قال: قال رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم: (من مـات وهو يعلم أنه لا إله إلا الله دخل الجنة).

2) اليقين: أن يكـون القائل مسـتيقناً بمـدلول هـذه الكلمة يقيناً جازماً فـإن الإيمـان لا يغـني فيه إلا اليقين لا علم الظن والشك قـال تعـالى: {إنما المؤمنـون الـذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا}.

3) القول لما اقتضته هذه الكلمة بقلبه ولسانه: قال تعـالى: {إنهم كـانوا إذا قيل لهم لا إله إلا الله يسـتكبرون ويقولون أإنا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون}.

فجعل الله سبحانه وتعـالى علة تعـذيبهم وسـببه هو استكبارهم عن قول لا إله إلا الله كما تقدم.

4) الانقيـــاد لما دلت عليه بالطاعة والإنابة قـــال سبحانه: {وأنيبوا إلى ربكم وأسلموا لـه} وقـال سـبحانه: {ومن يســـلم وجهه إلى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى}.

5) الصـــدق: وهو أن يقولها صـــدقاً من قلبه يوافق قلبه لسـانه قـال عز وجـل: {ومن النـاس من يقـول آمنا بالله واليوم الآخر وما هم بمؤمنين يخـادعون الله والـذين

آمنــوا وما يخــدعون إلاّ أنفســهم وما يشــعرون}، فهم كاذبون في قولهم.

وقـال صـلى الله عليه وسـلم في الحـديث المتفق عليــه: ((ما من أحد يشــهد أن لا إله إلا الله وأن محمــداً عبده ورسـوله صـدقاً من قلبه إلا حرمه الله على النـار))، فاشترط في قائل الكلمة أن يكون صادقاً.

6) الإخلاص: قال سبحانه: {ألا لله الـدين الخـالص} وقال تعالى: {وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء}.

7) المحبة: قـال تعـالى: {ومن النـاس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله والذين آمنـوا أشد حبـاً لله} [13].

[13] انظر العقيدة في الله لعمر الأشقر.

الأشاعرة وصفات الله

البيجوري وناظم الجوهرة اللقاني يأبيان سلوك طريق السلف الصالح في توحيد الصفات وهما يتبعان طريق الخلف في ذلك.

فالبيجوري من القائلين بتأويل صفات الله عز وجل وصرفها عن ظاهرها وتحميل معاني الصفات معان جديدة جاؤوا بها من عند أنفسهم فحرموا متابعة الأول ووافقوا أقواماً طالما حمل عليهم السلف الغارات من أجل ردعهم عن باطلهم ومن أجل كشف عوار وعقائدهم يقول اللقاني:

وكل نص أوهم التشبيها أوله أو فوِّض ورم تنزيهاً

يقول البيجوري: ("أوِّله"؛ أي احمله على خلاف ظاهره مع بيان المعنى المراد، فالمراد: أولَّه تأويلاً تفصيلياً بأن كون قه بيان المعنى المراد كما هو مذهب الخلف: وهم من كانوا بعد الخمسمائة. وقيل: من بعد القرون الثلاثة. وقوله: "أو فوّض"؛ أي بعد التأويل الإجمالي الذي هو صرف اللفظ عن ظاهره، فبعد هذا التأويل فوِّض المراد من النص الموهم إليه تعالى على طريقة السلف).

يقول: (وطريقة الخلف أعلم وأحكم، لما فيها من مزيد الإيضاح والرد على الخصوم، وهي الأرجح، ولذلك قدمها الناظم، وطريقة السلف أسلم: لما فيها من السلامة من تعيين معنى قد يكون غير مراد الله. وقوله "ورم تنزيها"؛ أي واقصد تنزيهاً له تعالى عما لا يليق به مع تفويض علم المعنى المراد؛ فظهر مما قررناه اتفاق السلف والخلف على التأويل الإجمالي لأنهم يصرفون النص الموهم عن ظاهره المحال عليه تعالى).

ويقول شارحاً ذلك بالأمثلة:

1) قوله تعـــالى: {يخـــافون ربهم من فـــوقهم} فالسلف يقولون فوقية لا نعلمها، والخلف يقولون: المراد بالفوقية التعالي في العظمة أي ارتفاعه فيها.

2) قوله تعـالى: {الـرحمن على العـرش اسـتوى} فالسـلف يقولـون: اسـتواء لا نعلمـه، والخلف يقولـون: المراد به الاستيلاء والملك. كما قال الشاعر:

قد استوى بشر على العراق من غير سيف ولا دم مهراق

ويقول مؤيداً قول الغـزالي في القصـيدة المنسـوبة إليه:

وهو فوق الفوق لا فوق له وهو في كل النواحي لا يزول

3) قال: ومما يـوهم الجسـمية قوله تعـالى: {وجـاء ربك} وحديث الصـحيحين: (يـنزل ربنا كل ليلة إلى سـماء الـدنيا حين يبقى ثلث الليل الأخـير، ويقـول من يـدعوني فأستجيب له من يسـألني فأعطيه من يسـتغفرني فـأغفر له)، فالسـلف يقولـون: مجيء ونـزول لا نعلمهـا، والخلف يقولـون: المـراد: وجـاء عـذاب ربك أو أمر ربك الشـامل للعذاب، والمراد ينزل ملك ربنا فيقول عن الله... إلخ.

4) قـال: ومما يـوهم الجـوارح قوله تعـالى: {ويبقى وجه ربك} و{يد الله فـوق أيـديهم} وحـديث: (إن قلـوب بـــني آدم كلها كقلب واحد بين أصـــبعين من أصـــابع من الرحمن) فالسلف يقولون: لله وجه ويد وأصابع لا نعلمها، ويقول الخلف المراد من الوجـه: الـذات، وباليـد: القـدرة؛ والمراد من قوله: (بين أصـبعين من أصـابع الـرحمن) بين صفتين من صفاته وهاتان الصفتان: القدرة والإرادة "[1].

هـذه هي عقيـدة الـبيجوري الأشـعري في صفات الله عز وجل وقوله يتضمن عدّة أمور:

1) أن صـــفات الله عز وجل دائـــرة بين التأويل والتفويض لا ثالث لهما.

---

[1] الشرح 91 – 93

2) أن تأويل هو صرف اللفظ عن ظاهره إلى معنى آخر.

3) التفـويض: هو جهل بمعـنى الصـفات، وتفـويض المعاني للصفات الموهمة لرب العالمين.

4) التفـــــويض والتأويل متفقـــــان على أن اللفظ القرآني للصفة غير مراد؛ والسـلف والخلف متفقـان على صرف النص الموهم عن ظاهره المحال عليه تعالى - كما يزعم -

5) أن إثبـــات صـــفات الله عز وجل يـــؤدي إلى التجسيم.

فهل ما قاله الـــبيجوري يوافق معتقد أهل الســـنة والجماعة من الســـلف الصـــالح؟ وهل ما قاله يوافق ما فهمه الأئمة من صفات الله عز وجل؟

ما هي عقيـدة السـلف في صـفات الله عز وجل؟

قال ابن القيم رحمه اللـه: (وقد تنـازع الصـحابة في كثير من مسـائل الأحكـام، وهم سـادات المؤمـنين وأكمل الأمة إيمانـــا؛ ولكن بحمد الله لم يتنـــازعوا في مســـألة واحدة من مسائل الأسـماء والصـفات والأفعـال؛ بل كلهم على إثبـات ما نطق به الكتـاب والسـنة كلمة واحـدة، من أولهم إلى آخـرهم، لم يسـموها تـأويلاً، ولم يحرفوها عن مواضعها تبديلاً، ولم يبـدوا لشـيء منها إبطـالاً، ولا ضـربوا لها أمثـالاً، ولم يـدفعوا في صـدورها وأعجازهـا، ولم يقل أحدهم يجب صرفها عن حقائقها وحملها على مجازها؛ بل تلقوها بالقبول والتسليم)"2".

وقال الشيخ محمد أمين الشـنقيطي: (والحق الـذي لا يشك فيه أدنى عاقل، أن كل ما وصف الله به نفسه أو وصفه به رسوله فالظـاهر المتبـادر منه السـابق إلى فهم من في قلبه شـــيء من الإيمـــان هو التنزيه التـــام عن مشابهة شيء من صفات الحوادث).

قـــــال: (وهل ينكر عاقل أن الســـــابق إلى الفهم المتبـادر إلى كل عاقل هو منافـاة الخـالق للمخلـوق في

"2" أعلام الموقعين 1/49

ذاته وجميع صـــــفاته؟ لا والله لا ينكر ذلك إلا مكـــــابر. والجاهل المفتري الذي يزعم أن ظـاهر آيـات الصـفات لا يليق باللـــه؛ لأنه كفر وتشـــبيه، إنما جر إليه ذلك تنجيس قلبه بقـذر التشـبيه بين الخـالق والمخلـوق فـأداه شـؤم التشبيه إلى نفي صـفات الله عز وجل وعـدم الإيمـان بها مع أنه جل وعلا هو الـــذي وصف نفسه بها فكـــان هـــذا الجاهل مشـبهاً أولاً ثم معطلاً ثانيـاً، فـارتكب ما لا يليق بالله ابتــداء وانتهــاء، ولو كــان في قلبه عارفـاً بالله كما ينبغي، معظماً لله كما ينبغي، طـاهراً من أقـذار التشـبيه، لكــان المتبــادر عنــده السـابق إلى فهمه أن وصف الله تعـالى بـالغ في الكمـال والجمـال ما يقطع أوهـام علائق المشـــابهة بينه وبين صـــفات المخلـــوقين فيكـــون قلبه مسـتعداً لصـفات الكمـال والجلال الثابتة لله في القـرآن والسـنة الصـحيحة مع التنزيه التـام عن مشـابهة صـفات الخلق على نحو قولـه: {ليس كمثله شـيء وهو السـميع البصير}) [3].

وقــال ابن عبــدالبر: (أهل الســنن مجمعــون على الإقـرار بهـذه الصـفات الـواردة في الكتـاب والسـنة، ولم يكيفــوا شــيئاً منهــا؛ وأما الجهمية والمعتزلة والخــوارج فقــالوا: من أقر بها فهو مشـــبه فســـماهم من أقر بها معطلة) [4].

وقــال الإمــام الترمــذي في ســننه في بــاب فضل الصدقة: (ما ثبت بهذه الروايات فنـؤمن بها ولا نتـوهم ولا يقال كيف هذا، هكذا روي عن مالك بن أنس وسـفيان بن عيينة وعبدالله بن المبارك أنهم قالوا في هـذه الأحـاديث: أمِرُّوها بلا كيــف، وهكــذا قــول أهل العلم من أهل الســنة والجماعة.

وأما الجهمية فـأنكرت هـذه الروايـات وقـالوا هـذا تشـــبيه. وقد ذكر الله عز وجل في غـــير موضع من كتابه اليد والســـمع والبصر فتـــأولت الجهمية هـــذه الآيـــات وفسروها على غير ما فسر أهل العلم وقـالوا: إن الله لم يخلق آدم بيده وقالوا: إنما معنى اليد القدرة.

وقال إسحاق بن إبراهيم: إنما يكون التشبيه إذا قال يد كيد أو مثل يد أو سمع كسـمع أو مثل سـمع فـإذا قـال

---

[3] أضواب البيان 2/319 وأنظـر منهج الدراسـات لآيـات الأسـماء والصفات له 19 – 20.
[4] فتح الباري 13/407.

سمع كسمع أو مثل سمع فهذا تشبيه، وأما إذا قال كما قال الله: يد وسمع وبصر، كيف ولا يقول مثل سمع ولا كسمع فهذا لا يكون تشبيهاً وهو كما قال تبارك وتعالى في كتابه: {ليس كمثله شيء وهو السميع البصير} "[5]"

وقال الشهرستاني: (فأما أحمد بن حنبل وداود بن علي الأصفهاني وجماعة من أئمة السلف فجروا على منهاج السلف المتقدمين عليهم من أصحاب الحديث مثل مالك بن أنس ومقاتل بن سليمان وسلكوا طريق السلامة فقالوا: نؤمن بما ورد في الكتاب والسنة ولا نتعرض للتأويل بعد أن نعلم قطعاً أن الله عز وجل لا يشبه شيئاً من المخلوقات وأن كل ما تمثل في الوهم فإنه خالقه ومقدره) "[6]".

وقال ابن خزيمة في كتابه "التوحيد وإثبات صفات الرب": (فنحن وجميع علمائنا من أهل الحجاز واليمن والعراق والشام ومصر مذهبنا: أن نثبت لله ما أثبته الله لنفسه نقر بذلك بألسنتنا ونصدق بذلك في قلوبنا من غير أن نشبه وجه خالقنا بوجه أحد من المخلوقين وعز ربنا أن نشبهه بالمخلوقين، وجل ربنا عن مقالة العاطلين وعز أن يكون كما قال المبطلون) "[7]".

قال ابن قدامة المقدسي: (وعلى هذا درج السلف والخلف رضي الله عنهم متفقون على الإقرار والإمرار والإثبات لما ورد من الصفات في كتاب الله وسنة رسوله من غير تعرض لتأويله وقد أمرنا بالاقتفاء لآثارهم والإهتداء بمنارهم وحذرنا المحدثات وأخبرنا أنها ضلالات) "[8]".

فهذه نصوص من أقوال السلف الصالح في وصف عقائد أصحاب الملة الصحيحة واضحة جلية في أن عقائد السلف هي ما اجتمع فيها:

1) تنزيه الله عن مشابهة الخلق في صفاته وأفعاله وذاته.

"[5]" سنن الترمذي 2/87.
"[6]" الملل والنحل 604.
"[7]" ص 10.
"[8]" لمعة الاعتقاد 4.

2) الإيمان بالصـفات الثابتة بالكتـاب والسـنة وعـدم التعــــرض لنفيها وعـــــدم التهجم على الله بنفي ما أثبته لنفسه.

3) صفات الله مقطوع الطمع بإدراك كيفيتها "[9]".

إذاً فعقيدة السلف رضي الله عنهم:

إثبـات ما أثبته الله لنفسه من غـير تأويل ولا تعطيل ولا تشبيه.

وأنه من قال بالتأويل والتعطيل فهو جهمي معاند.

قال شيخ الإسـلام ابن تيميـة: (فقـول ربيعة ومالـك: "الاستواء غـير مجهـول والكيف غـير معقـول والإيمـان به واجب"؛ موافق لقول البـاقين أمروها كما جـاءت بلا كيف فإنما نفوا علم الكيفية ولم ينفـوا حقيقة الصـفة ولو كـان القوم قد آمنوا باللفظ المجـرد من غـير فهم لمعنـاه على ما يليق بالله لما قـالوا: أمروها كما جـاءت بلا كيف فـإن الاستواء حينئذٍ لا يكون معلوماً؛ بل مجهولاً بمنزلة حروف المعجم، وأيضاً فإنه لا يحتـاج إلى نفي علم الكيفية إذا لم يفهم من اللفظ معـنى وإنما يحتـاج إلى نفي علم الكيفية إذا أثبت في الصــفات، وأيضــاً فــإن من ينفي الصــفات مطلقاً لا يحتاج أن يقول بلا كيف فمن قـال: إن الله ليس على العرش لا يحتـاج أن يقـول بلا كيف فلو كـان مـذهب السـلف نفي الصـفات في نفس الأمر لما قـالوا بلا كيف وأيضـاً فقـولهم: أمروها كما جـاءت يقتضي إبقـاء دلالتها على ما هي عليه فإنها جـاءت ألفاظـاً دالة على معـاني، فلو كـانت دلالتها منفية لكـان الـواجب أن يقـال أمـروا لفظها مع اعتقـاد أن المفهـوم منها غـير مـراد أو أمـروا لفظها مع اعتقـاد أن الله لا يوصف بما دلت عليه حقيقـة، وحينئذ فلا تكـون قد أمـرت كما جـاءت ولا يقـال حينئذ بلا كيف إذا نفي الكيف عما ليس بثابت لغو من القول) "[10]".

فليس مـذهب السـلف التفـويض ولا التأويل إنما هم يثبتون صفات الله عز وجل مع تنزيهه سبحانه وتعالى.

"[9]" منهج ودرسات 25 – 26.
"[10]" مجموع الفتاوى 5/41 – 42.

قال الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين: (ظواهر نصوص الصفات معلومة لنا باعتبار آخر، فباعتبار المعنى هي معلومة، وباعتبار الكيفية التي هي عليها مجهولة.

وقد دل على ذلك السمع والعقل.

أما السمع فمنه قوله تعالى: {كتاب أنزلنه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولو الألباب} وقوله تعالى: {إنا جعلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون} وقوله جل ذكره: {وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون}.

والتدبر لا يكون إلا فيما يمكن الوصول إلى فهمه ليتذكر الإنسان بما فهمه منه.

وكون القرآن عربياً ليعقله من يفهم العربية يدل على أن معناه معلوم وإلا لما كان الفرق بين أن يكون باللغة العربية أو غيرها.

وبيان النبي صلى الله عليه وسلم القرآن للناس شامل لبيان لفظه ومعناه. وأما العقل فلأن من المحال أن ينزل الله تعالى كتاباً أو يتكلم رسوله صلى الله عليه وسلم بكلام يقصد بهذا الكتاب وهذا الكلام أن يكون هداية للخلق ويبقى في أعظم الأمور وأشدهما ضرورة مجهولة المعنى بمنزلة الحروف الهجائية التي لا يفهم منها شيء لأن ذلك من السفه الذي تأباه حكمة الله تعالى وقد قال الله تعالى عن كتاب: {كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير}

هذه دلالة السمع والعقل على علمنا بمعاني نصوص الصفات: وبهذا علم بطلان مذهب المفوضة الذين يفوضون علم معاني نصوص الصفات ويدعون أن هذا مذهب السلف والسلف بريئون من هذا المذهب، وقد تواترت الأقوال عنهم بإثبات المعاني لهذه النصوص إجمالاً أحياناً وتفصيلاً أحياناً وتفويضهم الكيفية إلى علم الله عز وجل.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه المعروف "العقل والنقل" - 1/116 - المطبوع على هامش منهاج السنة: (وأما التفويض فمن المعلوم أن الله أمرنا بتدبر

القرآن وحضنا على عقله وفهمه فكيف يجوز مع ذلك أن يراد منا الإعراض عن فهمه ومعرفته وعقله).

إلى أن قال – ص 118 -: (وحينئذ فيكون ما وصف الله به نفسه في القرآن أو كثير مما وصف الله به نفسه لا يعلم الأنبياء معناه؛ بل يقولون كلاماً لا يعقلون معناه، قال: ومعلوم أن هذا قدح في القرآن والأنبياء إذ كان الله أنزل القرآن وأخبر أنه جعله هدى بياناً للناس، وأمر الرسول أن يبلغ البلاغ المبين، وأن يبين للناس ما نزل إليهم وأمر بتدبر القرآن وعقله، ومع هذا فأشرف ما فيه هو ما أخبر به الرب عن صفاته... لا يعلم أحد معناه، ولا يعقل ولا يتدبر ولا يكون الرسول بين للنا ما نزل إليهم، ولا بلغ المبين؛ وعلى هذا التقدير فيكون كل ملحد ومبتدع: الحق في نفس الأمر ما علمته برأيي وعقلي وليس في النصوص ما يناقض ذلك، لأن تلك النصوص مشكلة متشابهة ولا يعلم أحد معناها، وما لا يعلم أحد معناه لا يجوز أن يستدل به فيبقى هذا الكلام سد للباب الهدى، والبيان في طريقنا لا في طريق الأنبياء، لأننا نحن نعلم ما نقول ونبينه بالأدلة العقلية والأنبياء لم يعلموا ما يقولون فضلاً عن أن يبينوا مرادهم، فتبين أن قول أهل التفويض الذين يزعمون أنهم متبعون للسنة والسلف من شر أقوال أهل البدع والإلحاد) "11".

فالتأويل والتفويض مذهبان باطلان وفيهما إلحاد في صفات الرب تبارك وتعالى.

قال بن عثيمين: (ومذهب التأويل باطل من وجوه:

1) أنه جناية على النصوص حيث جعلوها دالة على معنى باطل غير لائق بالله ولا مراد له.

2) أنه صرف لكلام الله تعالى وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم عن ظاهره. والله تعالى خاطب الناس بلسان عربي مبين ليعقلوا الكلام ويفهموه على ما يقتضيه هذا اللسان العربي والنبي صلى الله عليه وسلم خاطبهم بأفصح لسان البشر فوجب حمل كلام الله ورسوله على ظاهره المفهوم بذلك اللسان العربي غير أنه يجب أن يصان عن التكييف والتمثيل في حق الله عز وجل.

"11" القواعد المثلى 36.

3) أن صــرف كلام الله ورســوله عن ظــاهره إلى معـنى يخالفـه؛ قـول على الله بلا علم، وهو محـرم لقوله تعــالى: {قل إنما حم ربي الفــواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغي بغــير الحق وأن تشــركوا بالله ما لم يــنزل به ســلطاناً وأن تقولــوا على الله ما لا تعلمــون} ولقوله سبحانه: {ولا تقف ما ليس لك به علم إن الســمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان مسئولا}.

فالصارف لكلام الله تعالى ورسوله عن ظـاهره إلى معنى يخالفه قد قفا نا ليس له به علم وقـال على الله ما لا يعلم من وجهين:

الأول: أنه زعم أنه ليس المــراد بكلام الله تعــالى ورسوله كذا مع أنه ظاهر الكلام.

الثاني: أنه زعم أن المراد به كذا لمعنى آخر لا يـدل عليه ظــاهر الكلام. وإذا كــان المعلــوم أن تعــيين أحد المعنــيين المتســاويين في الاحتمــال قــول بلا علم؛ فمنا ظنك بتعيين المعنى المرجوح المخالف لظاهر الكلام؟

مثال ذلك قوله تعـالى لإبليس: {ما منعك أن تسـجد لما خلقت بيديّ} فإذا صرف الكلام عن ظـاهره وقـال لم يرد باليدين اليدين الحقيقتين وإنما أراد كذا وكـذا قلنا لهم ما دليلك على ما نفيت وما دليلك على ما أثبت فــإن أتى بــدليل - وأنى له ذلــك- وإلا كــان قــائلاً على الله بلا علم بنفيه وإثباته.

4) أن صرف نصوص الصـفات عن ظاهرها مخـالف لما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسـلم وأصـحابه وسلف الأمة وأئمتها فيكون بـاطلاً لأن الحق بلا ريب فيما كان عليه النـبي صـلى الله عليه وسـلم وأصـحابه وسـلف الأمة وأئمتها) "[12]".

<u>الصفات التي أولها البيجوري:</u>

بعد بيـان مـذهب السـلف في صـفات الله عز وجل وأنها حق على ظاهرها من غــير تشــبيه، نــرى تأويل

"[12]" انتهى باختصار القواعد المثلى40 -43.

الــبيجوري لبعض صـفات الله وما هو موقف السـلف من هذه الصفات.

1) أوّل الــــبيجوري الفوقية بالعظمة وزعم أن فوقية الذات تستلزم التشبيه.

وأوّل الاستواء بالاستيلاء.

وإليك فهم السلف لقول الله فيهما:

قـال تعـالى: {إِنَّ رَبَّكُمُ اللّـهُ الَّذِي خَلَـقَ السَّـمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِـتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْـتَوَى عَلَى الْعَـرْشِ}، وقـال سبحانه: {تَنزِيلاً مِّمَّنْ خَلَـقَ الأَرْضَ وَالسَّـمَاوَاتِ الْعُلَى * الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى * لَـهُ مَا فِي السَّـمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى}، وقـــال تعـالى: {إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ}، وقـال تعـالى: {وَهُـوَ الْقَـاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ}، وقـال تعـالى: {يَخَـافُونَ رَبَّهُم مِّن فَـوْقِهِمْ وَيَفْعَلُـونَ مَا يُـؤْمَرُونَ}، وقـال تعـالى: {إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُـهُ}، وقـال تعـالى: {يَا هَامَـانُ ابْنِ لِي صَـرْحاً لَّعَلِّي أَبْلُـغُ الأَسْـبَابَ * أَسْبَابَ السَّـمَاوَاتِ فَـأَطَّلِعَ إِلَى إِلَـهِ مُوسَـى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِباً}.

قـــال الحافظ الــدارمي في "الــرد على الجهمية": (ففي هـذه الآية بيـان بين ودلالة ظـاهره أن موسى كـان يدعو فرعون إلى معرفة الله بأنه فوق السماء، فمن أجل ذلك أمر ببناء الصرح ورام الاطلاع إليه).

قال معاوية بن الحكم السـلمي: (كـانت لي غنم بين أحد والجوانية فيها جارية لي، فأطلعتها ذات يــــوم فـــإذا الـــذئب قد ذهب منها بشـــاة - وأنا رجل من بــــني آدم- فأسـفت فصـككتها فـأتيت النـبي صـلى الله عليه وسـلم ذكــرت ذلك لــه، فعظم ذلك علي، فقلت: يا رســول الله أفلا أعتقها؟ قال: ادعها. فقال لها رسول اللـه: أين اللـه؟ قالت: في السماء، قال: من أنا؟ قالت: رسول الله صـلى الله عليه وسلم. قال: أعتقها فإنه مؤمنة) "13".

وعن أبي سـعيد قـال: قـال رسـول الله صـلى الله عليه وســـلم: ((ألا تـــأمنوني وأنا أمين من في الســماء؟ يأتيني خبر السماء صباح مساء)) متفق عليه.

"13" رواه مسلم وأبو داود والنسائي.

وعن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا أمطرت حسر عن منكبيه حتى يصيبه المطر ويقول: (إنه حديث عهد بربه) "14".

وقال عدي بن عميرة: خرجت مهاجراً إلى النبي صلى الله عليه وسلم فذكر قصة طويلة... إلى أن قال: (فإذا هو ومن معه يسجدون على وجوههم ويزعمون أن إلههم في السماء فأسلمت وتبعته) "15".

وقال أبو حنيفة: (من قال لا أعرف ربي في السماء أو في الأرض فقد كفر، لأن الله تعالى يقول: {الرحمن على العرش استوى} وعرشه فوق سبع سماوات) "16".

وقال عبدالله بن المبارك: (نعرف ربنا بأنه فوق سبع سماوات على العرش استوى بائن من خلقه، ولا نقول كما قالت الجهمية) "17".

وقال وهب بن جرير: (الجهمية الزنادقة إنهما يردون أنه ليس على العرش استوى). وقال: (أحذر من المريسي وأصحابه فإن كلامهم يستجلب الزندقة وأنا كلمت أستاذهم جهما فلم يثبت لي أن في السماء إلهاً) "18".

وقال ابن خزيمة: (فنحن نؤمن بخبر الله جل وعلا أن خالقنا مستوي على عرشه لا نبدل كلام الله ولا نقول قولا غير الذي قيل لنا) "19".

وقال أبو الحسن الأشعري: (نقول إن الله عز وجل مستوي على عرشه) "20".

وقال ابن تيمية: (والقول الفصل هو ما عليه الأمة الوسط من أن الله مستوي على عرشه استواءً يليق بجلاله ويختص به) "21".

"14" رواه مسلم.
"15" اجتماع الجيوش الإسلامية 51.
"16" شرح الطحاوية 322.
"17" الرد على الجهمية 8.
"18" الرد على الجهمية 8.
"19" التوحيد 101 – 104.
"20" الإبانة 30.
"21" الحموية 1/439 – 440 المجموعة الكبرى.

قال أبو الحسن الأشعري شارحاً الاستواء: (فالسماوات فوقها العرش فلما كان العرش فوق السماوات قال: {أأمنتم من في السماء} لأنه مستوي على العرش الذي فوق السماوات، وكل ما علا فهو سماء، فالعرش أعلى السماوات، وليس إذا قال: {أأمنتم من في السماء} - يعني جميع السماوات- وإنما أراد العرش الذي هو أعلى السماوات، ألا ترى أن الله عز وجل ذكر السماوات فقال: {وجعل القمر فيهن نوراً} ولم يرد أن القمر يملأهن جميعاً، وأنه فيهن جميعاً، ورأينا المسلمين جميعاً يرفعون أيديهم إذا دعوا نحو السماء، لأن الله عز وجل مستو على العرش الذي هو فوق السماوات، فولا أن الله عز وجل على العرش لم يرفعوا أيديهم كما لا يحطونها إذا دعوا إلى الأرض) "22".

وقال رحمه الله: (إن قال قائل: ما تقول في الاستواء؟ قيل: تقول له: إن الله مستو على العرش كما قال تعالى: {الرحمن على العرش استوى}... وقد قال قائلون من المعتزلة والجهمية والحرورية: إن قول الله تعالى: {الرحمن على العرش استوى} أنه استولى وقهر وملك، وأن الله تعالى في كل مكان، وجحدوا أن يكون الله على عرشه - كما قال أهل الحق - وذهبوا في الاستواء للقدرة ولو كان هذا كما ذكروه كان لا فرق بين العرش والأرض، فالله سبحانه قادر عليها وعلى الحشوش وعلى كل ما في العالم، فلو كان الله مستوياً على العرش بمعنى الاستيلاء - وهو سبحانه مستول على الأشياء كلها- لكان مستوياً على العرش وعلى الأرض وعلى السماء وعلى الحشوش والأقذار لأنه قادر على الأشياء مستول عليها، وإذا كان قادر على الأشياء كلها - ولم يجز عند أحد من المسلمين أن يقول: إن الله عز وجل مستو على الحشوش والأخلية- لم يجيز أن يكون الاستواء على العرش الاستيلاء الذي هو عام في الأشياء كلها فوجب أن يكون معناه استواء يختص العرش دون الأشياء كلها.

وزعمت المعتزلة والحرورية والجهمية أن الله عز وجل في كل مكان، فلزمهم أنه في بطن مريم وفي الحشوش والأخلية، وهذا خلاف الدين، تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً) "23".

"22" الإبانة 31.
"23" الإبانة 70 -71.

وقال أبو نصر السجزي: (وأئمتنا كالثوري ومالك وابن عيينة وحماد بن زيد والفضيل وأحمد وإسحاق متفقون على أن الله فوق العرش بذاته، وأن علمه في كل مكان)"[24]".

وقال الإمام القرطبي في قوله تعالى: {ثم استولا على العرش}: (وقد كان السلف الأول رضي الله عنهم لا يقولون بنفي الجهة ولا ينطقون بذلك، بل نطقوا هم والكافة بإثباتها لله تعالى كما نطق كتابه وأخبرت رسله. ولم ينكر أحد من السلف الصالح أنه استوى على عرشه حقيقة. وخص العرش بذلك لأنه من أعظم المخلوقات، وإنهما جهلوا كيفية الاستواء فإنها لا تعلم حقيقته) "[25]".

وقال ابن خزيمة: (من لم يقل أن الله فوق سماواته على عرشه بائن من خلقه، وجب أن يستتاب، فإن تاب وإلا ضربت عنقه، ثم ألقي على مزبلة لئلا يتأذى بريحه أهل القبلة ولا أهل الذمة).

وقال الإمام البخاري عند قوله تعالى: {ثم استوى إلى السماء}: (قال أبوالعالية الرياحي: استوى إلى السماء أي ارتفع، وقال مجاهد: استوى: علا على العرش) "[26]".

وقال الدارمي في "الرد على الجهمية" بعدما ساق حديث الجارية: (ففي حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا دليل على أن الرجل إذا لم يعلم أن الله عز وجل في السماء دون الأرض فليس بمؤمن ولو كان عبداً فأعتق لم يجز في رقبة مؤمنة، إذ لا يعلم أن الله في السماء) "[27]".

وقال حماد بن زيد: (إنما يدورون على أن يقولوا ليس في السماء إله) "[28]" - يعني الجهمية -

<u>معنى قولهم: إن الله في السماء:</u>

"24" اجتماع الجيوش الإسلامية 97.
"25" الجامع لأحكام القرآن 7/219.
"26" صحيح البخاري الفتح 13/404.
"27" الرد على الجهمية 39.
"28" مختصر العلو 146.

قال أبو بكر محمد بن موهب المالكي في شرحه لرسالة الإمام أبي محمد بن أبي زيد: (أما قوله: إنه فوق عرشه المجيد بذاته، فمعنى فوق وعلا عند جميع العرب واحد. وفي الكتاب والسنة تصديق ذلك، وهو قوله تعالى: {ثم استوى على العرش}. وقال: {الرحمن على العرش استوى} وقال: {يخافون ربهم من فوقهم}).

وساق حديث الجارية والمعراج إلى سدرة المنتهى، إلى أن قال: (وقد تأتي لفظة "في" في لغة العرب بمعنى فوق، كقوله تعالى: {فامشوا في مناكبها} و{في جذوع النخل} و{أأمنتم من في السماء} قال أهل التأويل - أي التفسير -: يريد فوقها، وهو قول مالك مما فهمه عمن أدرك من التابعين مما فهموه عن الصحابة، مما فهموه عن النبي صلى الله عليه وسلم أن الله في السماء، يعني فوقها وعليها، فلذلك قال الشيخ أبو محمد: (إنه فوق عرشه" ثم بين أن علوه فوق عرشه إنما هو بذاته لأنه تعالى بائن عن جميع خلقه بلا كيف وهو في كل مكان بعلمه لا بذاته. إذ لا تحويه الأماكن، لأنه أعظم منها، قد كان ولا مكان).

ثم سرد كلاماً طويلاً... إلى أن قال: (فلما أيقن المنصفون إفراد ذكره بالاستواء على عرشه بعد خلقه سماواته وأرضه، وتخصيصه بصفة الاستواء، وعلموا أن الاستواء هنا غير الاستيلاء نحوه، فأقروا بوصفه بالاستواء على عرشه، وأنه على الحقيقة لا على المجاز، لأنه الصادق في قيله، ووقفوا عن تكييف ذلك إذ ليس كمثله شيء) "29".

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: (ثم من توهم أن كون الله في السماء - بمعنى أن الله في السماء تحيط به - فهو كاذب إن نقله عن غيره، وضال إن اعتقده في ربه، وما سمعنا أحداً يفهمه من اللفظ ولا رأينا أحد نقله عن واحد؛ ولو سئل سائل المسلمين هل يفهمون من قول الله ورسوله إن الله في السماء (أن السماء) تحويه، لبادر كل واحد منهم)... إلى أن يقول: (هذا شيء لعله لم يخطر ببالنا. وإذا كان الأمر هكذا فمن التكلف أن يجعل ظاهر اللفظ شيئاً محالاً لا يفهمه الناس منه ثم يريد أن يتأوله؛ بل عند المسلمين أن معنى "الله في السماء وهو

"29" مختصر العلو 282 – 283.

على العرش" واحد إذ السماء يراد به العلـو، فـالمعنى أن الله في العلو لا في السفل) [30].

وقد تقدم قول الإمام أبي الحسن الأشعري في هذا، وقوله أن الاسـتواء بمعـنى الاسـتيلاء فقد قـدمنا أقـوال السلف في نفي هذا التأويل الباطل.

<u>وممن قال كذلك في هذا النفي:</u>

قـال محمد بن أحمد بن النضـر: (كـان أبو عبدالله جارنا وكـان ليله أحسن ليـل، وذكر لنا أن ابن أبي داود سأله: أتعرف في اللغة استوى بمعنى استولى؟ فقـال: لا أعرفه) [31].

وقـال داود بن علي: (كنا عند ابن الأعـرابي فأتـاه رجـل، فقـال: يا أبا عبداللـه، ما معـنى قوله تعـالى: {الـرحمن على العـرش اسـتوى}؟ قـال: هو على عرشه كما أخبر، فقال الرجل: ليس كذلك؛ إنما معنـاه اسـتولى. فقال: اسـكت ما يـدريك ما هـذا؟ العـرب لا تقـول للرجل اسـتولى على الشـيء حـتى يكـون له فيه مضـاد، فأيهما غلب، قيل اسـتولى، والله تعـالى لا مضـاد له وهو على عرشه كما أخبر) [32].

وبهذا يعلم أن قول من قـال: أن الله في كل مكـان ضلال مبين.

2) أوّل الـبيجوري صـفة المجيء بأنه مجيء العذاب أو الملائكة.

وتقدم قول السلف في الصـفات وأن الـواجب على المؤمن أمررها واعتقادها من غير تأويل ولا تعطيل، فهذه صفة لله عز وجل قد نسبها لنفسه فقال سبحانه: {وجـاء ربك والملك صـفاً صـفاً} فنحن نقـول أن الله عز وجل يأتي كما يليق بجلاله وعظمته.

---

[30] العقيدة الحموية 158.
[31] مختصر العلو 194 – 195.
[32] مختصر العلو 195.

وقال سبحانه وتعالى: {هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة}.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (فأهل السنة والجماعة يثبتون ما يقوم بالله تعالى من الصفات والأفعال التي يشاؤها ويقدر عليها؛ وقال رحمه الله: ولو لم يتصف الله تعالى بالنزول والمجيء والإتيان وغير ذلك من صفات الأفعال التي وصف بها نفسه، أو وصفه بها رسوله صلى الله عليه وسلم، لكان من يتصف بذلك من خلقه أكمل منه وأتم، ولا يقول بهذا أحد، وفي القاعدة الكلامية المشهورة: أن كل كمال ثبت لمخلوق من غير أن يستلزم نقصاً بوجه من الوجوه فالخالق تبارك وتعالى أولى به من كل مخلوق. وكل نقص تنزه عنه مخلوق فالخالق سبحانه وتعالى أولى بتنزهه عنه من كل موجود) "33".

وكذلك صفة النزول هي من صفات الله تعالى حقيقة لا مجاز فهو تعالى ينزل ويجيء ويأتي على ما يليق بجلاله. وهي صفة ككل صفات الله عز وجل نقطع الطمع بإدراك كيفيتها.

وأما صفة الوجه واليد والأصابع، فهي صفات حق أخبر الله عز وجل في كتابه وأخبر رسوله صلى الله عليه وسلم عنها في كلامه، والقول فيها كالقول بباقي الصفات.

"33" موافقة صريح المعقول 2/119.

البيجوري وأول واجب على المكلف

يقول الـبيجوري بعد أن ذكر أول الواجبـات وان فيها الخلاف، ويوصل الأقـــوال إلى اثـــني عشر قـــولا. قـــال: (والأصح أن أول واجب مقصـــداً: المعرفـــة. وأول واجب وسيلة قريبـة: النظـر, ووسـيلة بعيـدة: القصد إلى النظر) [1].

إذاً فـــأول واجب على المكلفين عند الـــبيجوري هو القصد إلى النظر , لان الوســـيلة قبل الغاية , والوســـيلة تبدأ من البعيد قبل القريب.

ويفسر الـــبيجوري النظر بقولـــه: (والنظر – لغة - الإبصار: أي إدراك الشيء بحاسة البصر والفكر: أي حركة النفس في المعقـــولات ,وأما في المحسوســـات فتخيل , وعلم من ذلك أن النظر مشـــترك بين الإبصـــار والفكـــر, والمراد منه هنا الثاني وهو الفكر) [2].

إذاً فالقصد إلى النظر: هو القـدرة على التعبـير عن وجـــــود الله – فقط - باصـــــطلاح المتكلمين من الأدلة المنطقية الـتي ورثها بعض أهل الإسـلام من نفايـات أهل اليونان.

ويقصد بالمعرفة: اعتقاد وجود الصانع وليس المـراد بها التوحيد كما يتبـــادر إلى الأذهـــان. ودليل ذلك قـــول الـــبيجوري: وحاصـــله أن تقـــول: نفسي ملزومة لصـــفات حادثه وكل ملزوم لصفات حادثه فهو حـادث ,وكل حـادث لابد له من صانع حكيم واجب الوجود موصـوف بالصـفات [3].

فـإذا علمت هـذا تسـتطيع أن تحكم على حكمه بـان أول واجب هو النظر,أو القصد إلى النظر , أو المعرفة إن هـذا ليس من الإسـلام في شـيء؛ بل حين تعـرض إيمـان رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم وإيمـان أصـحابه وهو أكمل النـــاس إيمانـــاً بعد الأنبيـــاء على هـــذه القاعـــدة

[1] الشرح 38
[2] الشرح 38
[3] الشرح 39

الباطلـة,والحكم الجـائر الـذي جعل المسـلمين وأئمتهم دهـورا طويلة مشـغولين بمبـاحث فلسـفيه أغـنى الله المسلمين عنها ورحمهم حين انزل لهم ما يصلحهم تمـام الصلاح من كتاب قويم وسنة هدى نيرة , تجد أن عقائدهم في طريق غير هذا الطريق.

ولو نظرنا إلى هذين المأخذين - كتاب وسـنة- لـنرى ما هو أول واجب على المكلف , وما هو أول أمر دعا رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم , لرأينا يغـاير كل المغايرة ما دعا البيجوري الناس إليه.

قـال تعـالى: {لقد أرسـلنا نوحا إلى قومه فقـال يا قـومي اعبـدوا الله مـالكم من اله غـيره}، وقـال تعـالى: {اعبدوا الله مالكم من اله غيره}، وقال سبحانه وتعـالى: {ولقد بعثنا في كل امة رسـولا أن اعبـدوا الله واجتنبـوا الطـاغوت}، وقـال تعـالى: {وما أرسـلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه انه لا اله إلا أنا فاعبدون}.

إجمـاع الأنبيـاء أنهم ما أتـوا بـالنظر ولا بالقصـد, بل جاءوا بالتوحيد وعبـادة الله وحـده واجتنـاب ما عبـدوا من دون الله , ومعهم في ذلك خاتم الأنبياء والمرسلين محمد صلى الله عليه وسلم حين قال: ((أمرت أن أقاتل النـاس حـتى يشـهدوا أن لا اله إلا الله وان محمـدا رسـول اللـه) متفق عليه.

فهذه النصوص الصريحة والواضحة جلية المـراد في دلا لتها الأكيـــــــدة على أن أول واجب على المكلف هو شهادة أن لا اله إلا الله.

قال شارح العقيدة الطحاوية بن العز الحنفي: (أئمة السـلف كلهم متفقـون على أن أول واجب يـؤمر به العبد الشهادتان ومتفقون على أن من فعل ذلك قبل البلـوغ لم يؤمر تجديد ذلك عقيب بلوغه,بل يؤمر بالطهـارة والصـلاة إذا بلغ أو مـيز عند من يـرى ذلـك, ولم يـوجب احد منهم على وليه أن يخاطبه حينئذ بتجديد الشـهادتين وان كـان الإقرار بالشـهادتين واجبا ووجوبه يسـبق الصـلاة, لكن هو أدى هذا الواجب قبل ذلك)"[4]" .

فالتوحيد هو أول واجب وكذلك هو آخر واجب.

"[4]" شرح العقيدة الطحاوية 75

قال صلى الله عليه وسلم: ((من كـان آخر كلامه لا اله إلا الله دخل الجنة))، رواه الحاكم وغيره.

البيجوري قبورياً

لعل المسلم الواعي المتفهم لأبجديات عقيدته فحسب، يدرك أن أصل عقيدته وأساسها يكمن في أن العبادة لا تصرف إلا لله وحده، وإن الله عز وجل هو المستحق للعبادة، وهذا هو المتبادر الأول لذهن المؤمن حين ينطق بلا إله إلا الله، وهو يعلم كذلك أن صرف العبادة لغير الله إنما هو شرك في إلوهية الإله الحق سبحانه وتعالى. فهل البيجوري حين يقرر عقائد التوحيد كما يزعم يفهم هذه الأبجدية ويعي حقيقتها؟!!

يقول البيجوري: (ولذا قيل: من لم تظهر كرامته بعد موته كما كانت في حياته فليس بصادق. وقال الشعراني: ذكر لي بعض المشايخ أن الله تعالى يوكل بقبر الولي ملك يقضي الحوائج، وتارة يخرج الولي من قبره فيقضيها بنفسه) "1".

هذا التقرير العجيب في باب إثبات كرامات الأولياء وتحت شرحه لقوله الناظم اللقاني:

وأثبتن للأولياء الكرامة ومن نفاها إنبذن كلامه

أقول هذا التقرير العجيب ماذا يحمل في طياته: هل هو إثبات كرامات الأولياء التي لا ينكرها من أهل السنة أحد أم هو أمر آخر؟!

الناظر فيه بتمعن يدرك الدعوة الصارخة للالتجاء إلى القبور لقضاء الحوائج، لأن الولي يقضي الحوائج أو الملك الموكل بقبره.

طامة عظمى ودعوة جاهلية في كتاب التوحيد من أجل الإشراك بالله سبحانه وتعالى.

"1" شرح الجوهرة 153

ومن أجل بيــان أجلى في شــرح مفهــوم العبــادة، وخاصة الدعاء، وأنه لا ينبغي صرفه إلا لله تعالى، وصـرفه إلى غيره شرك بالعبادة.

نقول وبالله التوفيق:

إن الله عز وجل هو الـذي خلق الخلق وهو الـذي له حق الأمر وحــده. قــال سـبحانه وتعــالى: {ألا له الخلق والأمر} وخروج الناس عن أمـره سـبحانه وتعـالى إنما هو معصـية كبـيرة لهـذا الإله العظيم. ولـذلك جعل سـبحانه وتعالى أوامـره من أجل إحقـاق الحق وصـرف العبـادة له وحده. والعبادة: هي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضـاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة. فالصلاة والزكـاة والصيام والحج وصدق الحـديث وأداء الأمانة وبر الوالـدين وصلة الأرحـام والوفـاء بـالعهود والأمر بـالمعروف والنهي عن المنكر والجهـاد للكفـار والمنـافقين والإحسـان للجـار واليتيم والمسـكين وابن السـبيل والمملـوك من الآدمـيين والبهائم والدعاء والذكر والقراءة، وأمثال ذلك من العبادة "[2].

ومع هــذا البيــان لمعــاني العبــادة، لابد أن نعلم أن العبـادة المقبولة عند الله تعـالى لابد لها من شـروط، وإلا كانت العبادة باطلة وكانت وبالاً على صاحبها.

وهـذه الشـروط أجمع علمـاء الإسـلام عليهـا، وهي واضحة جلية في الكتاب والسنة.

أجلى هذه الشروط وأعمقها وأهمها:

ألا تعبد إلا اللــه، ولا تعبد الله إلا بما شــرع. فــأن لا تعبد إلا الله تحقيق لمعنى التوحيد بشقه الأول وهـو: أن لا إله إلا الله، ولا تعبد الله إلا بما شرع تحقيق لمعـنى محمد رسـول اللـه. فلا عبـادة إلا بنيـة، ولا عبـادة إلا بنص. فمن صرف عبادته لغير الله فقد أشـرك، ومن عبدالله بغـير ما شرع فقد ابتدع.

"[2]" العبودية 38

قال الإمام شيخ الإسلام ابن تيمية: (جماع الدين أصلان: أن لا نعبد إلا الله، ولا نعبده إلا بما شرع، لا نعبده بالبدع. كما قال تعالى: {فمن كان يرجوا لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحدا}. وذلك تحقيق الشهادتين: شهادة أن لا إله إلا الله، وشهادة أن محمداً رسول الله.

ففي الأولى: أن لا نعبد إلا الله. وفي الثانية: أن محمداً هو رسوله المبلغ عنه فعلينا أن نصدق خبره ونطيع أمره. وقد بين لنا ما نعبد الله به، ونهانا عن محدثات الأمور، وأخبر أنها ضلالة. قال تعالى: {بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن فله أجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون}.

وكما أننا مأمورون أن لا نخاف إلا الله، ولا نتوكل إلا على الله، ولا نرغب إلا إلى الله، ولا نستعين إلا بالله، وألا تكون عبادتنا إلا بالله، فكذلك نحن مأمورون أن نتبع الرسول ونطيعه، ونتأسى به. فالحلال ما حلله، والحرام ما حرمه، والدين ما شرعه) [3].

بعد هذا البيان المقتضب لمفهوم العبادة لابد أن نعلم أن من أعظم العبادات التي لا يجوز صرفها إلا لله: الدعاء، وأن صرفه لغيره سبحانه وتعالى شرك يحبط الأعمال.

وقد أمر سبحانه وتعالى أن لا ندعو إلا إياه. قال جل وعلا: {ولا تدعو من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك}، وقال تعالى: {ولا تدعو مع الله إلهاً آخر لا إله إلا هو}.

وجعل سبحانه وتعالى دعاء غيره عبادة له وشركاً بالله تعالى: قال سبحانه وتعالى: {قل أرأيتم ما تدعون من دون الله أروني ماذا خلقوا من الأرض}، وقال سبحانه: {قل أرأيتم شركائكم الذين تدعون من دون الله أروني ماذا خلقوا من الأرض}، وقال جل وعلا: {قل إني نهيت أن أعبد الذين تدعون من دون الله}، وقال سبحانه: {حتى إذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم قالوا أين ما كنتم تدعون من دون الله قالوا ضلوا عنا وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين}، وقال سبحانه وتعالى: {يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى ذلكم الله ربكم له الملك

[3] العبودية 170 – 171

والــذين تــدعون من دونه ما يملكــون من قطمــير، إن تدعوهم لا يسمعوا دعـائكم ولو سـمعوا ما اسـتجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم ولا ينبئك مثل خبير}.

فهــذه الآيـات وأمثالها في كتـاب الله العزيز كثـيرة تبين لنا بوضوح أن من دعاء غير الله من قبر أو ميت إنما هو مشرك بالله رب العالمين.

قال ابن كثير في بيان الآية 37 من سـورة الأعـراف المتقدمة: (يخبر تعـالى أن الملائكة إذا تـوفت المشـركين بفــزعهم عند المـوت وقبض أرواحهم إلى النــار يقولــون لهم: أين الــذين كنتم تشــركون بهم في الحيــاة الــدنيا وتدعونهم وتعبدونهم من دون الله أدعوهم يخلصونكم مما أنتم فيه) "4".

وأما الأحـاديث فكثـيرة وأبينها قوله صـلى الله عليه وسلم: ((الـدعاء هو العبـادة))، فهـذا الحـديث جلي واضح أن دعاء غير الله عبادة لغير الله، لأن الـدعاء عبـادة فكل من دعاء غـير الله سـبحانه وتعـالى فقد وقع في الشـرك الأكبر.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (والذين يــزورون قبــور الأنبياء والصـالحين ويحجـون إليها ليـدعوهم ويسـألوهم أو ليعبدوهم ويدعوهم من دون الله هم مشركون) "5".

وفي مــوطن آخر من الكتــاب - ص56 -: (وهــؤلاء الــذين يعتقــدون أن القبــور تنفعهم وتــدفع البلاء عنهم قد إتخذوها أوثاناً من دون الله وصـاروا يظنــون فيها ما يظنه أهل الأوثـان في أوثـانهم فــإنهم كـانوا يرجونها ويخافونها ويظنون أنها تنفع وتضر).

وقد يقول جاهل متعـالم إننا لو دعونا صـاحب القـبر إنما نحن نعتقد أنه لا ينفع ولا يضر إلا اللـــــه؛ ولكن نحن ندعوه بقولنا يا مدد أو بقولنا مـدد يا رسـول الله أو يا بـاز أو يا "أبو العلميين". إنما لنتقرب بذلك إلا الله بمن يحبهم من أوليائه ورسـله، أي بمعـنى: نتخــذهم واسـطة لعظم قدرهم وجاههم عند الله.

فتقول وبالله التوفيق:

"4" ابن كثير 2/203
"5" الرد على الأخنائي 52

إن هـــذا هو شـــرك القربة وهو من جنس شـــرك الجــاهليين الــذي بعث رســول الله إليهم ليــدعوهم إلى التوحيد والإيمان. قال سبحانه وتعالى: {ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هـؤلاء شـفعاؤنا عند الله قل أتنبـــؤن الله بما لا يعلم في الســـماوات ولا في الأرض سبحانه وتعالى عما يشركون}، وقال سبحانه: {ألا لله الــدين الخــالص والــذين اتخــذوا من دونه أوليــاء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى}.

قــال شــيخ الإســلام ابن تيميــة: (والمقصــود هنا أن هؤلاء المشركين الـذين يجعلـون أصـحاب القبـور وسـائط يشـــركون بهم كما يشـــرك أصـــحاب الأوثـــان بأوثـــانهم، يــدعونهم ويستشــفعون بهم ويرجــونهم ويخــافونهم وقد جعلوهم أنداداً يحبونهم كحب الله، هم الذين يقولون لمن نهى عن هذا الشرك وأمر بعبـادة الله وحـده إنه تنقصـهم وعــاداهم وعانــدهم. كما يــزعم النصــارى إن من جعل المســيح عبــداً لله ولا يملك ضــراً ولا نفعــاً أنه قد تنقص المسيح وعاداه وسبه وعانده) "6".

وبعد هذا نرى ضلال البيجوري وأمثاله واضح ودعــوة صريحة للإشراك بالله في كتـاب موسـوم أنه لب التوحيد وجوهره فإلى الله المشتكى.

وكذلك مما نهى الله عنه: أن يتحرى المسلم الدعاء في أماكن القبور ظاناً أن هذا أرجى لدعائه وادعى لقبوله ولذلك نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم في أحـاديث عن اتخاذ القبـور مسـاجد يصـلى عنـدها ويـدعى الله فيها ومن هذه الأحاديث:

1) عن عائشة رضي الله عنها قـالت: (قـال رسـول الله صلى الله عليه وسـلم في مرضه الـذي لم يقم منـه: لعن الله اليهود والنصارى اتخـذوا قبـور أنبيـائهم مسـاجد. قـــالت: فلـــولا ذاك أرز قـــبره غـــير أنه خشي أن يتخذ مسجداً) "7".

2) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قـال رسـول الله صلى الله عليه وسلم: (قاتل الله اليهود اتخذوا قبــور أنبيائهم مساجد) "8".

"6" الرد على الأخنائي 62
"7" رواه البخاري ومسلم وغيرهما.
"8" رواه البخاري ومسلم وغيرهما.

3) عن عائشة رضي الله عنها قالت: لما كان مرض النبي صلى الله عليه وسلم تذاكر بعض نسائه كنيسة بأرض الحبشة يقال لها مارية - وقد كانت أم سلمة وأم حبيبة قد أتتا أرض الحبشة- فذكرن من حسنها وتصاويرها قالت: فرفع النبي صلى الله عليه وسلم رأسه فقال: (أولئك إذا كان فيهم الرجل الصالح فمات بنو على قبره مسجداً ثم صوروا تلك الصور أولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة) "[9]".

4) عن عبدالله بن مسعود قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (إن من شرار الناس من تدركه الساعة وهم أحياء ومن يتخذ القبور مساجد) "[10]".

فهذه الأحاديث وغيرها من الأحاديث الكثيرة تبين ضلال من قصد القبر للتبرك والدعاء والصلاة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (فمن قصد بقعة يرجو الخير بقصدها - ولم يستحب الشارع قصدها- فهو من المنكرات وبعضه أشد من بعض، سواء قصدها قاصدها ليصلي عندها، أو ليدعو عندها، أو ليقرأ عندها، أو ليذكر الله عندها، أو لينسك عندها، بحيث يخص تلك البقعة بنوع من العبادة التي لم يشرع تخصيصها به لا نوعاً ولا عيناً إلا أن ذلك قد يجوز لحكم الاتفاق لا لقصد الدعاء فيه كمن يزورها ويسلم عليها ويسأل الله العافية له وللموتى كما جاءت به السنة، وأما تحري الدعاء عندها بحيث يستشعر أن الدعاء هناك أجوب منه في غيره فهذا هو المنهي عنه) أهـ "[11]".

وقال رحمه الله تعالى: (والمقصود أن ما سنه لأمته غير النوع الذي يقصده أهل البدع من السفر إلى زيارة قبور الأنبياء والصالحين، فإنهم - أي أهل البدع - لا يسافرون لأجل ما شرع من الدعاء لهم والاستغفار؛ بل لأجل دعائهم والدعاء بهم والاستشفاع بهم، فيتخذون قبور أنبيائهم مساجد وأوثاناً وعيداً يجتمعون فيه) "[12]".

"[9]" رواه البخاري ومسلم وغيرهما.
"[10]" رواه ابن خزيمة في صحيحه (1/92/2) وابن حبان (340/341) قال شيخ الإسلام ابن تيمية في اقتضاء الصراط المستقيم إسناده جيد.
"[11]" نقلاً عن فتح المجيد 251
"[12]" الرد على الأخنائي 11

الكشف عند البيجوري وطرف من وحدة الوجود

من المعلـوم البـدهي لـدى المسـلم أن لكل فن من الفنون مصـادره، ولكل علم منه قواعد لا ينبغي التصـرف فيها، وهذه القواعد ما وضعت في كل فن إلا حفـاظ عليه من الـــدخن الـــوارد عليـــه، ومن أجل تميـــيز حقائقه من أباطيله وبدون هـذه القواعد يصـبح الأمر فوضى لا ضـابط له.

وإذا علم هذا فإن اطمئنان النفس وحديثها، وخيالات العقول لا تصلح بحالٍ من الأحوال ضابطاً يقوم به مقبـول العلوم ومردودهـا، لأن أمزجة النفـوس مختلفـة، ورغـائب القلب وهـواه مضـطرب لا اسـتقرار لـه، وقد يحصل في النفس أمر يكـون خلاف الحـق، ومن أجل هـذا فمعلـوم قطعاً أن عقائد المسلمين لا تؤخذ إلا من الوحيين الكتاب والسنة.

قال الإمام العلامة عبدالرحمن بن المعلمي اليمـني: (مآخذ العقائد الإسـلامية أربعـة: سـلفيان وهما الفطـرة والشـرع، وخلفيـان وهما النظر العقلي المتعمق والكشف الصوفي.

أما الفطـــــــــرة فأريد بها ما يعم الهداية الفطرية والشــعور الفطــري والقضــايا الــتي يســميها أهل النظر ضروريات وبديهيات، والنظر العقلي العـادي وأعـني به ما يتيسر للأمــيين ونحــوهم ممن لم يعــرف علم الكلام ولا الفلسفة.

وأما الشرع فالكتاب والسنة.

وأما النظر العقلي المتعمق فيه فما يختص بعلم الكلام والفسلفة.

وأما الكشف التصـــوفي فمعـــروف عند أهله ومن يوافقه عليه) [1].

ثم قـــال: (ومن أول من مـــزج التصـــوف بـــالكلام الحـارث المحاسـبي ثم اشـتد الأمر في الـذين أخـذوا عنه فمن بعدهم، وكان من نتائج ذلك قضية الحلاج ولعله كـان في أقــران الحلاج من هو موافق له في الجملــة؛ بل لعل فيهم من هو أوغل منه إلا أنهم كانوا يتكتمون ودعا الحلاج إلى إظهــار ما أظهــره من حب الرياســة، وكــذلك مــزج الفلسفة في التصـوف كـان معروفـاً عند بعض الفلاسـفة الأقــدمين، وتجد في كلام الفــارابي وابن ســينا نتفــاً من ذلـــك، وكـــذلك في كلام متفلســـفة المغاربة كـــابن باجة وغيره، وهكذا الباطنية كـانوا ينتحلـون التصـوف فلما جـاء الغزالي نصب التصوف منصب الكلام والفلسفة الباطنيـة، وزعم أن الحق لا يعدو هذه الأربع مقـالات وقضى ظـاهراً للتصوف مع ذكره كغـيره أن طائفة من المتصـوفة ذهبـوا إلى الإباحة المطلقة وفي ذلك نبذ الشـــراع البتـــة، ثم لم يـــزل الأمر يشـــتد حـــتى جـــاء ابن عـــربي وابن ســـبعين والتلمسـاني ومقـالاتهم معروفــة، ومن تتبع ما كـان عليه النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة وأئمة التـابعين وما يصرح به الكتـاب والسـنة وآثـار السـلف وأنعم النظر في ذلك ثم قارن ذلك بمقالات هـؤلاء القــوم علم يقينـاً أنه لا يمكنه إن لم يغالط نفسه أن يصـــدق الشـــرع ويصـــدقهم معـــه، وإن غالط نفسه وغالطته فالتكـــذيب ثـــابت في قرارها ولابد).

هــذا والشــرع يقضي بــأن الكشف ليس ما يصــلح الإسـتناد إليه في الـدين ففي صحيح البخـاري من حـديث أبي هريــرة: ســمعت رســول الله صــلى الله عليه وآله

[1] القائد لتصحيح العقائد 37

وسلم يقول: ((لم يبقى من النبـوة إلا المبشـرات، قـالوا: وما المبشرات؟ قال: الرؤية الصالحة)).

وورد نحوه من حـديث جماعة من الصـحابة ذكر في فتح البـاري منها حـديث ابن عبـاس عند مسـلم وغـيره وحديث أم كرز عند أحمد وابن خزيمة وابن حبان وحـديث حذيفة ابن أسيد عند أحمد والطبراني وحديث عائشة عند أحمد وحديث أنس عند أبي يعلى.

وفيه حجة على أنه لم يبقى مما يناسب الـــوحي إلا الرؤيا.

وقال: (قد تقدم أن الرؤية قصلرها التبشير والتحذير وفي الصحيح: أن الرؤيا قد تكون حقاً وهي المعـدودة من النبـوة، وقد تكـون من الشـيطان، وقد تكـون من حـديث النفس والتمييز مشكل، ومع ذلك فالغالب أن تكــون على خلاف الظـــاهر، حـــتى في رؤيا الأنبيـــاء عليهم الصـــلاة والســـلام كما قص من ذلك القـــرآن وثبت في الأحـــاديث الصحيحة ولهـذه الأمـور اتفق أهل العلم على أن الرؤيا لا تصلح للحجة وإنما هي تبشير وتنبيه وتصلح للاستئناس بها إذا وافقت حجة شرعية صـحيحة كما ثبت عن ابن عبـاس أنه كـان يقـول بمتعة الحج لثبوتها عنـده بالكتـاب والسـنة فرأى بعض أصحابه رؤيا توافق ذلك فاستبشر ابن عباس.

هـذه حـال الرؤيا فقس عليه حـال الكشف إن كـان في معناه فأما إن كـان دونها فـالأمر واضح وتجد في كلام المتصـــوفة أن الكشف قد يكـــون حقـــاً وقد يكـــون من الشيطان وقد يكون تخيلاً موافقاً لحديث النفس وصرحوا بأنه كثـيراً ما يكشف للرجل بما يوافق رأيه حقـاً كـان أو باطلاً، ولهذا تجد في المتصوفة من ينتسب إلى قـول أهل الحـديث ويـزعم أنه يكشف له بصـحة مذهبه وهكـذا تجد فيهم الأشـــعري والمعـــتزلي والمتفلسف وغـــيرهم وكل يزعم أنه يكشف له بصـحة مذهبه ومخالفة منهم لا يكذبه ولكن يكذب كشفه وقد يكشف لأحدهم بما يوافق مقالات الفرقة الـــــتي ينتسب إليها وإن لم يكن قد عــــــرف تلك المقـــــــالات من قبل كأنه لحسن ظنه بهم وحرصه على مـوافقتهم إنما تتجه همته إليهم فيقـرأ أفكـارهم وترتسم في مخيلته أحوالهم.

فالكشف إذاً تبعـــاً للهـــوى فغايته أن يؤيد الهـــوى ويرسـخه في النفس ويحـول بين صـاحبه وبين الاعتبـار

والاستبصار فكأن الساعي في أن يحصل له الكشف إنما يسعى في أن يضله الله عز وجل، ولا ريب أن من التمس الهدى من غير الصراط المستقيم مستحق أن يضله الله عز وجل، وما يزعمه بعض غلاتهم من أن لهم علامات يميزون بها بين ما هو حق من الكشف وما هو باطل دعوى فارغة إلا ما تقدم عن أبي سليمان الداراني وهو أن الحق ما شهد له الكتاب والسنة؛ لكن المقصود الشهادة الصريحة التي يفهمها أهل العلم من الكتاب والسنة بالطريقة التي كان يفهمها بها السلف الصالح.

فأما ما عرف عن المتصوفة من تحريف النصوص بما هو أشنع وأفضع من تحريف الباطنية فهذا لا يشهد لكشفهم؛ بل يشهد عليهم أوضح شهادة بأنه أبطل من الباطل.

أولاً: لأن النصوص بدلالتها المعروفة حجة، فإذا شهدت ببطلان قولهم علم أنه باطل.

ثانياً: لأنهم يعترفون أن الكشف محتاج إلى شهادة الشرع، فإن قبلوا من الكشف تأويل الشرع فالكشف شهد لنفسه، فمن يشهد لنفسه على تأويله.

وأما التحديث والإلهام ففي "صحيح البخاري" وغيره من أحاديث أبي سلمة عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "لقد كان فيما قبلكم من الأمم محدثون فإن يكن في أمتي أحد فإنه عمر" وأخرجه مسلم من حديث أبي سلمة عن عائشة وفيه: "فإن يكن في أمتي منهم أحد فإن عمر بن الخطاب منهم" وجاء في عدة روايات تفسير التحديث بالإلهام.

وهذه سيرة عمر بين أيدينا لم يعرف عنه ولا عن أصدق أئمة الصحابة وعلمائهم استدلال بالتحديث والإلهام في القضايا الدينية؛ بل كان يخفى عليهم الحكم فيسألون عنه فيخبرهم إنسان بخبر النبي صلى الله عليه وسلم فيصيرون إليه، وكانوا يقولون القول فيخبرهم إنسان عن النبي صلى الله عليه وسلم بخلافه فيرجعون إليه.

وأمام الفراسة فإن المتفرس يمكنه أن يشرح لغيره تلك الدلائل التي تنبه لها فإذا شرحها عرفت، فإن كانت مما يعتد به عمل بها، لا بالفراسة). انتهى من القائد لتصحيح العقائد.

أقول:

بعد هـــذه المقدمة الـــتي تـــبين شـــيئاً عن حقيقة الكشف وأنه ليس من الـــدين في شـــيء ولا يصـــلح دليلاً لحقيقة علمية، سنرى وضع البيجوري العجيب وأمـره معه الكشف وإلى أي مـدى عنـده يصـلح الكشف دليلاً لإثبـات الحقائق العلمية.

يقول البيجوري: بعد أن يذكر طـرق النظر الموصـلة للحقائق العقدية: (ويقـوم مقـام ذلك ما لو عـرف العقائد بالكشف) "2".

أي أن الكشف يوصـــلك إلى حقيقة العقائد الإيمانية مع العلم أنه لم يـذكر شـيئاً عن الكتـاب والسـنة، وأنهما يصلحان طريقاً للعقائد؛ بل منع تحصيلها بأحاديث الآحاد.

وهنا لابد من تساؤل عن الكشف بأي شيء يحصـل: هل هو باستغراق صوفي ضال على طريق متصـوفة الهند والعقائد الباطلة يحصل الكشـف؟! أم بمـاذا؟ وخاصة إذا علمنا أن هـــذا الرجل الســـالك إلى حقيقة الكشف - كما زعم - ليس لديه عقيدة سليمة حال سلوكه فهذه الأعمال التي توصله إلى الكشف بأي نية يقوم بها وبأي طريق؟

جزماً سيكون الجواب أنه بغيره نية صـحيحة، وبغـير عمل صـــالح لأنه بعد لم يصل إلى العقائد الصـــحيحة كما يزعم.

ونتيجة لذلك، إلى أي عقيدة سيصل هذا السالك؟

قطعـاً سيصل إلى عقيـدة أبالسة الأرض منذ أن ذرأ الله ذرية آدم ألا وهي وحدة الوجود.

وليس هـــذا تجـــني على الـــبيجوري وأمثاله ممن يؤمنـــون بالكشف طريقـــاً يوصل إلى المعرفـــة؛ بل هو يصرح بذلك ويدين نفسه بنفسه.

يقول البيجوري: (فإن تصديق المقلد ليس كتصـديق العارف بالـدليل، وهو ليس كتصـديق المـراقب، وهو ليس

"2" الجوهرة 22

كتصديق المشاهد، وهو ليس كتصديق المستغرق الـذي لا يشاهد إلا الله) "3".

هذه نهاية الكشف وهو أن لا يشاهد إلا اللـه. لا يـرى في الوجـود إلا اللـه. لا خـالق ولا مخلـوق فالكل هو اللـه. العبد رب والرب عبد.

وإن أردت عبارة أصـرح منها وأوضح من الـبيجوري، تكشف عن مـــؤدى كشـــفه فـــاقرأ: (فالتقليد - أي في المعرفة - للعــوام، والعلم لأصـحاب الأدلــة، والعيــان لأه المراقبة ويســمى مقــام المراقبــة، والحق للعـــارفين، ويسـمى مقـام المشـاهدة، والحقيقة للـواقفين ويسـمى مقام الفناء لأنهم يفنون عن غير الله ولا يشهدون إلا إياه، وأما حقيقة الحقيقة فهي للمرســـلين، وقد منعنا الله من كشفها، فلا سبيل إلى بيانها) "4".

وحــدة وجـود بينة واضــحة وطامــات مســتورة لا يسـتطيع (تسـتراً) بيانهـا، فسـبحان الله العظيم إذا كـان الكفر قد كشـــفه وبينه فما هو المســـتور الـــذي يخـــاف فضحه. وإذا كـانت حقيقة الحقـائق يخفيها عن المسـلمين إذاً: ما هـذا الـذي يعلمهم في شـرحه جـوهرة التوحيد هل هو باطن؟ هل هو الظاهر؟ وهنـاك من البـاطن المسـتور، وقطعاً أنه يخالف الظاهر المنظور إليه.

لا يســتطيع عــالم منصف أن يمسح هــذا الســواد المظلم عن هذه الضلالات، أو أن يجد لها تأويلاً. وبعد هـذا كله يكــون هــذا الشــرح معتمــداً لــدى المســلمين في مدارســهم وحلقـــاتهم. هـــذا الكشف في العقائـــد. فهل الكشف عند البيجوري يصلح لأمر آخر؟

يقول البيجوري: (ولعل هذا الحـديث - حـديث إحيـاء والدي النبي صـلى الله عليه وسـلم وإيمانهما ثم موتهما - صح عند أهل الحقيقة بطريق الكشف) "5".

يا لضـيعة جهـود علمـاء الحـديث وتعبهم في البحث عن الأسـانيد وتجميعهـا، ويا لضـيعة جهـودهم في تحقيق هذه الأسانيد. لماذا أضاعوا أعمارهم؟ ولمـاذا شـقوا على

"3" الجوهرة 51
"4" الجوهرة 43
"5" الجوهرة 30

أنفسهم إذا كانت هذه العلوم والضوابط لا معنى لها عند البيجوري؟

يجلس الصوفي في خلوة له مستغرقاً في وحدة الوجود، وبالكشف يخبرنا صحيح الحديث وضعيفه {كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبا}.

أهذا هو العلم، أهكذا هو الإسلام الذي فهمه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضي الله عنهم. أهذا هو إسلام التابعين وأئمة المسلمين. أهذه هي عقائد المسلمين التي يعلمهما البيجوري في شرحه للجوهرة؟

والذي يجب علي أن لا أكتمه عن حقيقة الكشف بعد ذلك وأنه ضلال في ضلال؛ بل هو الجنون بعينه.

أقول: إن الكشف هو عبارة عن أمور في نفس الشخص يظن أنها موجدة في الأعيان فيجزم بوقوعها وأنها حقيقة قائمة، ولا يستطيع نفيها عنده أحد مهما تجمعت لديه الأدلة الأخرى على ضلال اعتقاده، لوحدة الوجود وحصول بعض المشاهدات لديه كادعائه أنه يرى الله وأن الله يكلمه وأنه يجلس مع الرسول صلى الله عليه وسلم ويتلقى منه العلم ويصلي الفرائض ورائه وهي في الحقيقة تصورات ذهنية داخلية وخيالات نفسية شيطانية ليس لها واقع صحيح وليست من هدي الكتاب والسنة ولا هي سبيل المؤمنين.

أي نستطيع أن نقول إن الكشف هو خيال جنوني داخلي يدعي الصوفي أنه به يحصل له علم اليقين في مسائل الاعتقاد وفي كثير من المسائل الشرعية وغيرها وهذا شرع من الدين لم يأذن به الله ولا رسوله.

فنسأل الله العفو والعافية.

وقال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى: (وعامة هؤلاء إذا خوطبوا ببيان فساد قولهم قالوا من جنس قول النصارى هذا أمر فوق العقل، ويقول بعضهم ما كان يقول التلمساني لشيخ أهل الوحدة يقول: يثبت عندنا في الكشف ما يناقض صريح العقل) "6".

"6" الجواب الصحيح 2/92

فإذا لم تكن من صحيح النقل ولا من صـريح العقـل؛ فمن أين جاءت؟

لاشك أنها من الشيطان والهوى.

البيجوري والتقليد

قال اللقاني:

ومالك وسائر الأئمة كذا أبو القاسم هداة الأمة
فواجب تقليد حبر منهم كذا حكى القوم بلفظ يفهم [1]

وأبو القاسم هو محمد الجنيد سيد الطائفة الصوفية.

والتقليد هو: العمل بقول الغير من غير حجة [2].

إذاً فالنـــاظم يريد منا ومن مجمـــوع الأمة أن نقلد الأئمة الأربعة وكـــــذا نقلد الجنيـــــد، فالأئمة الأربعة في المسائل الفقهية، والجنيد في التصوف [3].

إن النـاظر لهـذه المسـألة مع عرضـها على نصـوص السنة النبوية وأقوال الأئمة، يرى فيها أن الحق في جانب يخـالف الجـانب الـذي دعا إليه اللقـاني، لأن الله عز وجل قد تعبدنا بكتابه وبسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وقد منع كثـــير من الأئمة جـــواز التقليـــد؛ بل قد ذكر بعضـــهم الإجماع على ذلك:

قـــال عبدالله بن خـــويز منـــداد البصـــري المـــالكي: (التقليد معناه في الشرع الرجوع إلى قـــول لا حجة لقائله عليه، وذلك ممنوع منه في الشريعة. والإتباع ما ثبت عليه حجة) [4].

<u>وقد نهى الأئمة عن تقليـــــــــدهم فينبغي متابعتهم فيما قالوا:</u>

---

[1] الشرح 150
[2] إرشاد الفحول 265، وشرح جوهرة التوحيد 33
[3] الشرح 151
[4] جامع بيان العلم وفضله 2/117

1) سئل أبو حنيفة: إذا قلت قولاً وكتاب الله يخالفه؟ قال: (أتركوا قولي لكتاب الله). فقيل: إذا كان خبر رسول الله صلى الله عليه وسلم يخالفه؟ قال: (أتركوا قولي لخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم). فقيل له: إذا كان قول الصحابة يخالفه؟ قال: (أتركوا قولي لقول الصحابة رضي الله عنهم) "5".

2) قال عبدالله بن المبارك: سمعت أبا حنيفة يقول: (إذا جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم فعلى الرأس والعين، وإذا جاء عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم نختار من قولهم، وإذا جاء عن التابعين زاحمناهم) "6".

3) قال الشافعي: (إذا قلت قولاً وكان عن النبي صلى الله عليه وسلم خلافه فما يصح من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم أولى فلا تقلدوني) "7".

4) وقال رحمه الله: (إذا صح خبر يخالف مذهبي فاتبعوه واعلموا أنه مذهبي).

5) وقال: (مثل الذي يطلب العلم بلا حجة كمثل حاطب ليل، يحمل حزمة حطب، وفيه أفعى تلدغه وهو لا يدري) "8".

6) وأما أحمد بن حنبل رحمه الله فقال أبو داود: قلت لأحمد بن حنبل: الأوزاعي هو أتبع أم مالك - كأنه يريد أكثر أتباعاً من مالك- فقال: (لا تقلد في دينك أحداً من هؤلاء، ما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه فخذ به ثم التابعين بعد الرجل فيه مخير) "9".

7) وقال أحمد أيضاً: (لا تقلدني ولا تقلد مالكاً ولا الثوري ولا الأوزاعي، وخذ من حيث أخذوا) "10".

"5" إيقاظ همم أولي الأبصار 50
"6" الإيقاظ 70
"7" إعلام الموقعين 2/285، وإيقاظ همم أولي الأبصار 50
"8" إعلام الموقعين 2/211
"9" مسائل الإمام أحمد لأبي داود 276–277، وإعلام الموقعين 2/200-201
"10" إعلام الموقعين 2/201، والإنصاف 105

8) وقـال رحمه اللـه: (من قلة فقه الرجل أن يقلد دينه الرجال) "11".

9) وقــال الشــافعي: (أجمع النــاس على أن من اسـتبانت له سـنة رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم لم يكن له أن يدعها لقول أحد) "12".

10) وقــال: (إذا صح الحــديث على خلاف قــولي فأضربوا قولي بالحائط، واعملوا بحديث الضابط) "13".

فهذه نصوص الأئمة وغيرها كثـير تـدل دلالة واضـحة على أنهم قد ألزمـوا بعض أتبـاعهم على تـرك تقليـدهم ويــرون ذلك من قلة الفقه وإن الإتبــاع - إتبــاع الكتــاب والسنة- هو سبيل أهل التدين من السلف والخلف.

أما قـول النـاظم بوجـوب التقليد فهو قـول مـدعى يعوزه الدليل، وينقصه البرهان.

أما احتجـــاج الـــبيجوري بالآية الكريمـــة: {فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون}؟

فـالجواب: إن الآية الكريمة الـتي سـبقت قد أمر الله تعالى فيها من لا يعلم أن يسأل (أهل الذكر)، والـذكر هو القرآن والسنة كما ذكره الله في قوله مخاطباً لنسـاء رسول الله صلى الله عليه وسـلم: {واذكـرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمـة}. وآياته القـرآن، والحكمة السنة.

وكما قال تعالى: {هو الذي بعث في الأميين رسـولاً منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة} فـالأمر في الآية للجاهل أن يسأل أهل القـرآن والحـديث عنهما ليخبروه، فإذا أخبروه وجب عليه إتباع ما أخبر به "14".

أما قـول النـاظم بوجـوب تقليد الجنيد في التصوف، وهو كما شـرحه الـبيجوري، فهو قـول ساقط عجيب.

"11" إعلام الموقعين 2/201
"12" إعلام الموقعين 2/282، وإيقاظ أولي الأبصار 58-103
"13" إعلام الموقعين 2/288، وإيقاظ أولي الأبصار 63
"14" إرشاد النقاد إلى تيسير الاجتهاد 169

فالصوفية مذهب دخيل ليس من الإسلام في شيء، وهو ديانة مستقلة ليس لها وجه قربة مع الإسلام، لا في أصولها، ولا في فروعها، فهي لها عقائد خاصة بها، وأركان عبادات كذلك. وشرح هذا الأمر يطول جداً وعلى الأخ القارئ أن ينظر كتاب الأستاذ محمود قاسم: (الكشف عن حقيقة الصوفية لأول مرة في التاريخ) فهو كتاب فريد قد ملئه صاحبه بالنصوص الصوفية التي لا تترك لطالب الحق مناصاً إلا الاعتراف أن الصوفية مذهب شركي ليس من الإسلام في شيء.

ومن آثار دعوة هذا الناظم أنه جعل على المسلمين جميعاً وجوب تقليد إمام معين لا يخرج عنه قيد أنملة، وكذلك عليه إتباع طريقة الصوفية، ومن هنا صار مؤلفاً أن ترى الرجل بعد أن يذكر اسمه وموطنه، يذكر مذهبه، فهو شافعي مثلاً أو حنفي، وهو بعد ذلك قادري أو شاذلي أو رفاعي من هذه الأسماء التي ما أنزل الله بها من سلطان. فالله سبحانه وتعالى قد سمانا المسلمين، ورضي الإسلام لنا ديناً، فكيف لا نرضاه لأنفسنا؟!

فمن هنا صارت الأمة شيعاً وأحزاباً، وصار لهذه الشيع والفرق كتب علمية خاصة فيها، وهي من الضلال بمكان. فعلى قول اللقاني بتقليد الجنيد أو أحد أتباعه من مشايخ التصوف، ماذا يصنع طالب العلم وهو يرى جملاً وعبارات شركية تنسب للجنيد وليس لطالب العلم إلا أن يسلم بها لوجوب تقليده كما أمر اللقاني والبيجوري.

وماذا يصنع طالب العلم بقول الجنيد: (لا يكون الصديق صديقاً حتى يشهد له في حقه سبعون صديقاً أنه زنديق) "15".

ماذا يصنع بمثل هذه الطامات التي تنسب للجنيد أيسلم لها تقليداً أم يتبع الكتاب والسنة ويقول سبحانك هذا بهتان عظيم.

إن القول بتقليد عالم أو رجل من غير حجة كائن من كان هو امتهان لعقول البشر وسخرية بإنسانيتهم فلا ينبغي للمرء أن يسلم لأحد إلا لله تعالى ورسول الله صلى الله عليه وسلم.

"15" المناظر الإلهية للجيلي 44

قال الإمام الشافعي: (وأما أن يقلده فلم يجعل الله ذلك لأحد بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم) "16".

ضلالات وطامات في شرح جوهرة التوحيد

من المضحكات المبكيات غـرائب كثـير من القصص التي يريدها البيجوري في شـرحه, وغـرائب هـذه القصص يكمن في أن فيها من الشـطط والضـلالات والـدعوة إلى الجاهلية الشـيء الكثـير , والـبيجوري يـورد هـذه القصص ليدلل بها على عقيدته وينصر بها دعوته. سيرى قارئ هذه القصص أو أمثلة منها كم أن البيجوري يحتقر عقل المـرء المسـلم الـواعي وكم يحـدث في عقل المتـابع له من الضلالات والاعتقادات الباطلة الغريبة.

1) يقـول الـبيجوري: عن موسى عليه السـلام حين سمع كلام الله - من غير صوت - : (وقد أشـرق وجهه من النـور, فما رآه احد إلا عمي فتـبرقع وبقي الـبرقع على وجهه إلى أن مات) "1".

ولعلك ستسأل أخي القـارئ من أين للـبيجوري هـذا الخبر ومن أي طريق استقاه؟

وسيجيبك أتباع الـبيجوري من الأشـاعرة والصـوفية: قد صح هـذا عند أهل الحقيقة بطريق الكشف وما عليك إلا التسليم , ولا تعترض فتنطرد.

وكلنا نقـول الم يسـمع رسـول الله صـلى الله عليه وسلم كلام ربه حين اسري به ؟ فلماذا لم يتـبرقع رسـول

"16" إرشاد الفحول 265
"1" الشرح 74

الله صلى الله عليه وسلم؟؟ كما فعل أخوه موسى من قبل كما زعموا؟؟

2) يقول البيجوري: وحكي أن بن الشجري كان يقرر في درسه قوله تعالى:{كل يوم هو في شأن} فسأل سائل وقال له: ما شأن ربك الآن؟؟ فاطرق رأسه وقام متحيرا فنام, فرأى النبي صلى الله عليه وسلم فسأله عن ذلك , فقال له صلى الله عليه وسلم: السائل لك الخضر , فإذا أتاك في غد وسالك فقل له: شؤون يبديها ولا يبتديها يرفع أقواما ويخفض آخرين. فلما أصبح , أتاه وسأله فأجابه بما ذكر فقال له: صل على من علمك. ومشى مسرعا.

في هذه القصة يقرر عدة أمور منها:

1) أن الخضر عليه السلام بين أظهرنا .

2) ان الخضر عليه السلام يعلم الغيب حتى ما يحدث معنا في منامتنا " صل على من علمك".

3) الرؤى والأحلام طريق من طرق تلقي العلم.

وللجواب على هذه الأمور نقول:

1) إما أن الخضر عليه السلام حي فقول الله تعالى: {وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد أفإن مت فهم الخالدون} رد عليه وناف له.

2) إما أن الخضر عليه السلام يعلم الغيب فقول الله تعالى: {قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله}، وقوله تعالى: {عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا} أحق بالإتباع والقبول.

3) إما أن الرؤى والأحلام طريق تلقي العلم فقول الله تعالى: {اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا} بيان أوضح على أن العلم هو كتاب وسنة.

الخاتمة

بعد هــذا الاســتعراض المختصر لعقيــدة الــبيجوري لشرحه لجوهرة التوحيد , هـذا الكتـاب الـذي صـار عمـدة للحلقات العلمية الشرعية , ومصـدرا للتـدريس في بعض الجامعات والمعاهد الإسلامية.

بعد هــذا الاســتعراض: هل الــبيجوري في شــــرحه لجــــوهرة التوحيد يمثل أهل الســـنة والجماعة؟

لقد رأينا فيما سـبق أن الـبيجوري وشـرحه لا يمثل أهل الســنة , فهو يمثل مــذهبا بــدعيا؛ ألا وهو العقيــدة الأشــعرية , وقد جمعت هــذه العقيــدة عقائد وتصــورات لمذاهب تلكم عليها أهل السنة من السلف الصــالح وردوا عليها ردودا مفصـــلة , فقد رأينا أشـــعرية الـــبيجوري قد جمعت الإرجــاء في الإيمــان والجــبر في القــدر وقــول الجمهية في الأسـماء والصـفات وقـول المعتزلة في خلق القـران؛ فهل بعد هـذا كله أشـعرية الـبيجوري تكـون هي معتقد أهل السنة والجماعة؟؟

إذا كانت الجبرية منفردة قد حملت لـواء به خـرجت عن أهل الســنة وعــدت فرقة بدعية ضــالة , وإذا كــانت المعتزلة منفردة قد حملت لواء القـول بخلق القـران وبه عــدت فرقة بدعية ضــالة , وإذا كــانت المرجئة منفــردة حملت لواء الإرجاء وبه خرجت عن أهل السنة , اذا كـانت كل فرقة من هـــذه الفـــرق مع قولها ببدعة منفـــردة قد

خرجت من أن تكون ممثلة لأهل السنة والجماعـة؛ فكيف بمن حمل هـذه العقائد جميعـا, هل يكـون في عقيدته من أهل السنة والجماعة؟؟

الجواب: قطعا وبكل يقين هو النفي.

وقد انـبرى عـدد من أئمة الهـدى للـرد على مثل ما يـــدعو إليه الـــبيجوري في عقيدته , فالأئمة على مـــدار القرون: الأول والثاني والثالث والرابع قد نشـطة أقلامهم في الرد على أهل البدع من خلف البيجوري وأمثاله:

فقد ألف عبدالله بن مبـارك (181هــ) وأبو سـعيد يحيى بن سعيد القطان (198هـ) وبن أبي شيبة (225هــ) ونعيم بن حمـاد المـروزي (228هـــ) وعبدالله بن محمد الجعفي شـيخ البخـاري (229هــ) وإسـحاق بن راهويه (238هــ) واحمد بن حنبل (241هــ) ومحمد بن إسـماعيل البخاري (256هـ) فهؤلاء وأمثالهم كتبوا المصنفات وألفـوا الردود على أمثـال الـبيجوري في عقيدته وكلهم قد أكـدوا اعتماد الكتاب والسنة مصدرا وحيدا للعقيـدة وطعنـوا في كل عقيدة تصادم النصوص الشرعية.

فعلى المسـلم المتبع أن يوجه وجهته نحو المصـادر اليقينية الصحيحة ليستقي منها عقيدته: الكتب التي تعتمد في أدلتها على كتـاب الله وسـنة النـبي صـلى الله عليه وسـلم فنسـال الله عز وجل حسن الإتبـاع ووقانا من شر الابتداع.

فكل خير في إتباع من سلف وكل شر في ابتداع من خلف

وصلى الله على نبينا وأسوتنا محمد
وعلى اله وصحبه ومن تبعهم وحذا حذوهم إلى يوم الدين

المراجع

1 - الإبانة عن أصـول الديانة لأبي الحسن الأشـعري - دالا الكتاب العربي.
2 - ابن حزم وموقفه من الإلهيات للدكتور أحمد بن ناصر الحمد - جامعة أم القرى.
3 - اجتمـاع الجيـوش الإسـلامية على غـزو المعطلة والجهمية لابن قيم الجوزية - دار الكتب العلمية.
4 - الإحكام في أصول الأحكام لابن حــزم الأندلسي - منشورات دار الآفاق الجديدة.
5 - الأدب المفرد - الإمـام البخـاري - باعتنـاء محمد هشام البرهاني.
6 - إرشـــــاد الفحـــــول إلى تحقيق الحق في علم الأصول - الإمام الشوكاني - دار الفكر.
7 - الأسـتدلال بـالظني في العقيـدة - فتحي محمد سليم.
8 - أصل الاعتقـــاد دراسة حديثية - لعمر الأشـــقر - الدار السلفية الطبعة الأولى.
9 - أصول الديانة للبغدادي - استنبول.
10- أضــواء البيــان في إيضــاح القــرآن بــالقرآن - لمحمد الأمين الشـــــنقيطي - الرئاسة العامة للبحـــــوث العلمية.
11 - الإعتصام للإمام الشاطبي - دار الفكر.
12 - علاقة الإثبات والتفويض بصفات رب العــالمين - رضا نعسان معطي - الطبعة الخامسة.

13 - الأعلام لخــــير الـــــدين الــــزركلي - دار العلم للملايين.
14 - إعلام المـوقعين عن رب العـالمين - ابن القيم - دار الجيل.
15 - اقتضـاء الصـراط المسـتقيم لمخالفة أصـحاب الجحيم - ابن تيمية - بتحقيق ناصر العقل.
16 - الإنصــــاف في أســـباب الاختلاف لـــولي الله الدهلوي - مراجعة عبدالفتاح أبو غدة - دار النفائس.
17 - إيقـــاظ همم أولي الأبصـــار للفلاني - دار نشر الكتب الإسلامية - باكستان.
18 - الإيمــــان لابن تيمية - تلخيص حســـين يوسف الغزال - دار إحياء العلوم.
19 - بدعة التعصب المـــذهبي لمحمد عيد عباسي - المكتبة الإسلامية.
20 - تـاريخ بغـداد للخطيب أحمد بن علي - المكتبة السلفية.
21 - تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري - ابن عساكر - طبعة دمشق.
22 - التعرف على مذهب أهل التصوف للكلابــاذي - لجنة نشر التراث الصوفي.
23 - تفسير ابن كثير - دار الفكر.
24 - التوحيد وإثبــات صــفات الـــرب عز وجل لابن خزيمة - تعليق هراس - دار الكتب العليمة.
25 - الجامع لأحكام القرآن للقرطبي - دار الفكر.
26 - جواب أهل العلم والإيمان لابن تيمية.
27 - الجـواب الصـحيح لمن بـدل دين المسـيح لابن تيمية - مطابع المجد التجارية.
28 - حلية الأولياء لأبي نعيم الأصفهاني.
29 - الـــــرد على الأخنــــائي لابن تيميـــــة- تحقيق عبدالرحمن المعلمي.
30 - الــرد على الجهمية للإمــام الــدارمي - تعليــق: بدر البدر - الدار السلفية.
31 - الرسالة للإمام الشافعي - تحقيق أحمد شاكر.
32 - الروض الباسم في الذب عن سنة أبي القاسم للوزير اليماني - دار المعرفة.
33 - سنن ابن ماجة - ترقيم محمد فؤاد عبدالباقي.
34 - ســنن الترمــذي - تحقيق عبــدالرحمن محمد عثمان - دار الفكر.
35 - سنن الدارمي - دار الفكر.
36 - ســنن النســائي بشــرح الســيوطي وحاشــيته السندي - دار الفكر.

37 - سير أعلام النبلاء للذهبي - مؤسسة الرسالة.
38 - شـــــرح العقيـــــدة الطحاوية لابن أبي العز - المكتب الإسلامي.
39 - شـــفاء العليل في مســـائل القـــدر والحكمة والتعليل لابن القيم الجوزية - مكتبة دار التراث.
40 - صحيح ابن خزيمة - تحقيق الأعظمي.
41 - صحيح البخاري - دار إحياء التراث العربي.
42 - صحيح مسلم - ترقيم محمد فؤاد عبدالباقي.
43 - طبقات الشافعية الكبرى - القاهرة.
44 - العقيدة في الله لعمر الأشـقر - مكتبة الفلاح - الطبعة الخامسة.
45 - فتح البـاري شــرح صـحيح البخـاري لابن حجر العسقلاني - دار الفكر.
46 - فتح المجيد شرح كتـاب التوحيد - عبـدالرحمن بن حسن آل الشيخ.
47 - في مجال العقيدة عرض ونقد - غـازي التوبة - مؤسسة الرسالة.
48 - القائد إلى تصـــحيح العقائد - عبـــدالرحمن بن يحيى المعلمي - المكتب الإسلامي.
49 - قواعد التحديث في فنـون مصـطلح الحـديث - جمال الدين القاسمي - دار الكتب العلمية.
50 - القواعد المثلى في صـــــفات الله وأســــمائه الحسنى.
51 - لمعة الاعتقاد الهـادي إلى سـبيل الرشـاد لابن قدامة المقدسي - دار مصر.
52 - مجمـــــــــــوع الزوائد ومنبع الفوائد للهيثمي - مؤسسة المعارف.
53 - مجموع فتاوى شيخ الإسلام - جمع عبدالرحمن بن قاسم وابنه محمد.
54 - مختصر العلو للعلي الغفار للذهبي - الألبـاني - المكتب الإسلامي.
55 - المســــــتدرك على الصـــــحيحين للحـــــاكم النيسابوري - دار الفكر.
56 - مسند أبو داود الطيالسي - دار المعرفة.
57 - مسند أحمد بن حنبل - المكتب الإسلامي.
58 - معارج القبول بشـرح سـلم الوصـول إلى علم الأصول - حافظ بن أحمد الحكمي - المطبعة السلفية.
59 - معالم في الطريق لسيد قطب - دار الشـروق - الطبعة العشرة.
60 - مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة للســيوطي - الجامعة الإسلامية.

61 - مقـالات الإسـلاميين للأشـعري - نشر محـيي الدين عبدالحميد.
62 - الملل والنحل للشهرسـتاني - تحقيق محمد سيد الكيلاني - دار المعرفة.
63 - منـاقب الإمـام أحمد بن حنبل لابن الجـوزي - دار الآفاق.
64 - المنتظم في تاريخ الملوك والأمم لابن الجوزي - حيدر أباد.
65 - منهـاج السـنة النبوية لابن تيمية - دار الكتب العلمية.
66 - منهـاج ودراسـات لآيـات الأسـماء والصـفات للشنقيطي - الجامعة الإسلامية.
67 - موافقة صحيح المنقول لصـريح المعقـول لابن تيمية - مطبعة السنة المحمدية.
68 - النووي على مسلم - النووي - دار الفكر.
ومراجع أخرى تراها في طيات الكتاب.

فهرس